أ.د. حسن يشو

الوَسَطِيَّةُ

مَعالِم وضَوابِط ومحاذير



أ.د. حسن يشو

الوسطية معالم وضوابط ومحاذير

2026

لا شكّ أن الله الموصوف بصفات الكمال، والجلال، والجمال؛ وهو الحكيم المتعال خالق الكون، وبرأ ما فيه على إحكام وإتقان، لا يوجد في خلقه تفاوت أو فطور، في الكون، بله دينه، وشريعته، فلا يوجد فيه -أبدًا- التناقض أو القصور، دينه نظام، ومنهاج حياة، يتناغم نظام الكون مع نظام الدين؛ وتنبع منهما أقمار الوسطية التي لا تنطفئ!

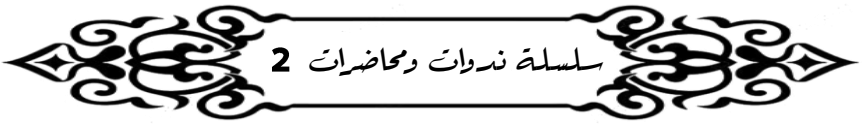
كل البلاء الذي يحصل لهذه الأمة المكلومة مردُّه إلى انعدام الوسطية وانخرام معالمها؛ وانتشار التطرف واستفحال التنطع؛ ولعل هذا ما حمل الجلّة من علماء العصر على اختياره الحضاري والمصيري؛ لسلامة العمل للإسلام، وطريق تطبيق الشريعة.

9 789920 869058

مكتبة الطالب وجدة

الوَسطِيَّة

معالم وضوابط ومحاذير



الوَسَطيَّة

معالم وضوابط ومحاذير

تأليف

أ.د. حَسَن يَشُّو



الوَسَطِيَّة

معالم وضوابط ومحاذير

تأليف

أ.د. حَسَن يَشُّو

رقم الإيداع القانوني: 2026MO3323

الترقيم الدولي: 978-9920-8690-5-8

محفوظة بمنع حقوق

الطبعة الأولى: 1447هـ 2026م

مكتبة الطالب/ وجدة



إهداء

إلى حامل لواء التيسير في العصر الحديث،

أديب الفقهاء، ورافع شعار المدرسة الوسطية،

من حباهُ الله عمرًا طويلًا، وعريضًا مليئًا؛

صاحب المجموعة الكاملة من أعماله في مائة وخمسة مجلدات،

كنا نمتح منها وما نزال.. ونرتقي بفضلها أعلى الجبال،

ولعلّ هذا الكتابْ.. قطراتٌ من بحره العُبابْ؛

سيدنا ومولانا يوسف القرضاوي.. رفع الله عنّا بحبّه كلّ البلاوي،

عرفتُه عن كتَب.. وقرأته عن كتُب،

عاش شابًّا حتى في شيخوخته بكامل العُنفوان.. عليه شآبيب الرحمة والرضوان،

وعلى كل من حذا حذوه؛ فصحبةُ الفحول تُفحّل،

وكل من تمثّل الوسطية في دينه، وسلوكه، ودعوته،

أهدي ثمرة هذا الجهد الذهني، مع دعواتي، وسابغ محبتي.

من مشكاة القرآن

- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143].



- قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153].



- قال سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7 – 9].



- قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].





- قال ﷺ: "سددوا وقاربوا وأبشروا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا"[1].



- قال ﷺ: "اقرؤوا القرآن واعملوا به، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به"[2].



- قال ﷺ: "عليكم من العمل ما تطيقونه، فوالله لا يمل الله حتى تملوا"[3].



(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق برقم (19786).

(2) أخرجه أحمد في المسند برقم (15529)، وقال مخرجوه: صحيح وهذا إسناد قوي، والطبراني في الأوسط برقم (2574)، وأبو يعلى في المسند برقم (1518)، والبيهقي في السنن: 2/ 17.

(3) أخرجه البخاري برقم (43)، وابن ماجة برقم (3435).

من آثار العلماء والحكماء

- قال علي بن أبي طالب ﷺ: "خير هذه الأمة النمط الوسط، يلحق به التالي، ويرجع إليه الغالي"[1].

- قال الحسن البصري: "دين الله وضع فوق التقصير، ودون الغلو"[2].

- قال سفيان الثوري: إنما الفقه الرخصة عن ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد.

- لا نريدُ سلفيّةً جارحة أو ناطحة.. ولا صوفيةً مترنّحة أو شاطحة.. بل نريد الحسنيين: وسطية ناضجة وناصحة.

- الأصل في الفتوى التيسير.. وفي الدعوة التبشير.

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في الزهد برقم (35639)، وأبو عبيدة في غريب الحديث: 3/ 482- 483.

(2) تلبيس إبليس، ابن الجوزي: 33.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام الأتمّان الأكمَلان على الصادق الأمين، والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

فهذه ورقة في "الوسطية معالم وضوابط ومحاذير"، دعتني مشكورة الأكاديميةُ العالمية لعلماء الوسطية التي شرّفتني بعضويتها إلى المشاركة بكلمةٍ تكون بمثابة المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر الدولي الثالث عشر تحت شعار: "الوسطية بين الثوابت الشرعية والتحديات المعاصرة: نحو تجديد الخطاب وبناء الاستقرار المجتمعي".

ولا شكّ أن الله الموصوف بصفات الكمال، والجلال، والجمال؛ وهو الحكيم المتعال خلق الكون، وبرأ ما فيه على إحكام وإتقان، لا يوجد في خلقه تفاوت أو فطور، في الكون، بله دينه، وشريعته، فلا يوجد فيه -أبدًا- التناقض أو القصور، دينه نظام، ومنهاج حياة، يتناغم نظام الكون مع نظام الدين؛ وتشعُّ منهما أقمارُ الوسطية التي لا تنطفئ!

كل البلاء الذي يحصل لهذه الأمة المكلومة مردُّه إلى انعدام الوسطية وانخرام معالمها؛ وانتشار التطرف واستفحال

التنطع؛ ولعل هذا ما حمل الجلّة من علماء العصر على اختياره الحضاري والمصيري؛ لسلامة العمل للإسلام، وطريق تطبيق الشريعة؛ فقال الشيخ القرضاوي -رحمه الله: "وإنما عُنيت بهذا الأمر كل هذه العناية؛ لأني أرى هذا الفكر أو هذا الاتجاه هو الجدير أن يمضي بها في الطريق الصحيح، الذي يوصل إلى الغاية المنشودة؛ وهي الرقي بالأمة ماديًا، وروحيًا، والعودة بها إلى دفة القيادة للبشرية، بما لديه من رسالة ربانية إنسانية عالمية متكاملة ومتوازنة. كما أنني أرى الإعراض عن هذه الوسطية هو الهلاك بعينه، والضياع في الدين والدنيا معا"[1].

واعلم أن الله العظيم -على الجملة- أمر بالتوسط في كل شيء بين خُلُقين ذميمين، تفريط وإفراط[2]، وأنّ أمر الوسطية آيلٌ -لا محالة- إلى توازن بين طاقة الجسم، وطاقة العقل، وطاقة الروح؛ توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته، توازن بين ضروراته وأشواقه... توازن بين النزعة الفردية والجماعية[3].

---

(1) الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد: 241.

(2) القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي: 90.

(3) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: 28.

وأن رسالة العلماء موسومة بالوسطية كما ألمع إليها النبي ﷺ، لا يجنحون إلى الغلوّ مع الغلاة، ولا إلى الانتحال مع المبطلين، أو التحريف مع الجالين؛ فهم على المنهج الوسطي؛ حيث قال رسول الله ﷺ: "يحمِلُ هذا العِلمَ من كلِّ خلَفٍ عدولُه: ينفونَ عنهُ تحريفَ الجاهِلينَ، وانتحالَ المبطلينَ، وتأويلَ الغالينَ"[1].

ونستطيع توسُّم الوسطية عبر منصة الشرع؛ لأنه شاهدٌ عليها، وحيثما كان الجمع، والتوفيق، والتيسير ورفع الحرج؛ فثمّ عين الوسطية، ويمكن استخلاص معالم الوسطية في القرآن الكريم، وتتبع آيه، وموارده؛ فيحسن أن يحرر بحثٌ في تقرير ذلك كله، واستلهام قيمها، وتجلياتها!

كما يمكن تشوُّف الوسطية في تعاريج السنة النبوية المشرّفة، وروضة السيرة العطرة، واقعًا عمليًا، يكون أنموذجًا حيًّا لمنهاج الوسطية ولا فخر، وأدعو أن يُحرر بحث في الموضوع كذلك.

---

(1) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير: 4/ 256، وأبو نعيم في معرفة الصحابة برقم (732)، والبيهقي برقم (21439)، وابن عبد البر في التمهيد: 1/ 59.

ونتشوّف الوسطية في العرف والعادة وما جرى به العمل في حياة الناس؛ وأن ذلك مرجع في الفتوى، والفقه، لا يكون الاختيار فيه إلا على الأوفق، والأليق، والأنسب لروح التشريع، ومصالح الناس، وحاجاتهم بالفكر الوسطي الوضّاح!

وأما العقل الراجح أو الصريح؛ فهو مهيعٌ لإقرار الوسطية الحقة، ودفع الشبهات عنها؛ لأن كل ما لو عُرض على العقول، فتلقته بالقبول؛ هو عين الوسطية الساطعة.

وأن الفطرة التي فطر الله الناس عليها منزع في تثبيت الوسطية، وإضفاء الأحقية عليها؛ فلا وسطية إذا تنافرت مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

هذا، وقسمتُ هذا الجزء إلى ثلاثة مباحث أساسية:

المبحث الأول: حقيقة الوسطية، والاختلالات الناتجة عن غيابها.

المبحث الثاني: الوسطية معالم وضوابط ومحاذير.

المبحث الثالث: الوسطية عند حامل لوائها في العصر الحديث.

وفي الأخير: أرجو أن يعم بهذا الكتاب النفعُ في هذه الحياة، ويمتد به الفضلُ ما بعد الممات؛ وأن يجعله جلّ

جلالُه من الباقيات الصالحات؛ لقول النبي ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ذكر منها: "أو علم ينتفع به"[1].

فما أصبتُ فيه فمن تيسير الرحمان، وما أخطأتُ فمني ومن الشيطان، وحسبي أني من بني آدم، وكل بني آدم خطاء!

وما أبرئُ نفسي إنني بشر أسهو وأخطئُ ما لم يحمني قدرُ

وما ترى عذرًا أولى بذي زللٍ من أن يقولَ مقرًّا: إنني بشرُ

***

وصلى الله وسلم على نبينا محمد في الأولين، وفي الآخرين، وفي الملأ الأعلى عنده إلى يوم الدين.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صلاة تفتح لنا بها أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها أبواب الشر والتعسير،

أنت مولانا نِعم المولى ونعم النصير،

والحمد لله رب العالمين.



(1) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، برقم (1631).

المبحث الأول

حقيقة الوسطية والاختلالات الناتجة عن غيابها

تمهيد:

في هذا المبحث أتناول حقيقة الوسطية في معيارها اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، وأهميتها، وتأصيلها، وآفات الانحراف عنها، والله من وراء القصد.

الوسطية في اللغة:

الوسطية مأخوذة من مادة (وسط)؛ وهي كلمة تدل على العدل، والفضل، والخيرية، والنصف، والتوسط بين الطرفين.

يقول ابن فارس: "الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه"[1].

وفي لسان العرب: "وسط الشيء وأوسطه: أعدله"[2].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: 6/ 108.

(2) لسان العرب: 7/ 430.

قال الجوهري: "ويقال أيضًا: شيء وسط: أي بين الجيّد والرديء"[1].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]. يقول الإمام الطبري (ت: 310هـ) - رحمه الله-: "الوسط هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط؛ لتوسطها في الدين"[2].

ومن ذلك قوله ﷺ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، **فإنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ**، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"[3]. قال الحافظ ابن حجر (ت: 852هـ) -رحمه الله-: "قوله: أوسط الجنة أو أعلى الجنة، المراد بأوسط هنا: الأعدل والأفضل؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]"[4].

---

(1) الصحاح، الجوهري: 3/ 1167.

(2) تفسير الطبري: 2/ 6- 7.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، برقم (2790).

(4) فتح الباري: 6/ 13.

ومنها قول علي بن أبي طالب ﷺ: "**خير هذه الأمة النمط الوسط**، يلحق به التالي، ويرجع إليه الغالي"[1].

والوسيط: الشريف الحسيب؛ نقول: "فلانٌ وسيط في قومه إذا كان **أوسطهم نسبًا**، وأرفعهم محلًّا"[2].

الوسطية في الاصطلاح:

إذن لا ينفك لفظُ "الوسطية" عن المعنى اللغوي: فهي -في تصوري القاصر-: الاعتدال بين الإفراط والتفريط فهمًا، وتصورًا، وحُكمًا، وسلوكًا، وثقافة، ومنهاجًا في الحياة!

فالوسطية هي التي "تقيم الوزن بالقسط بين المتقابلات، بلا طغيان ولا إخسار. بحيث يمكن الجمع بينها، دون أن يطغى أحد المتقابلين على الآخر، كالذي يجمع بين حسنتي الدارين: الدنيا والآخرة، والذي يجمع بين النورين: الوحي والعقل ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: 35]"[3].

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في الزهد برقم (35639)، وأبو عبيدة في غريب الحديث: 3/ 482- 483.

(2) لسان العرب: 7/ 429.

(3) فقه الوسطية الإسلامية والتجديد: 38.

واعلم أن الإسلام منهج وسط للأمة الوسط؛ وهو يتماهى أساسًا مع "الصراط المستقيم" في كل مجال، وعلى كل صعيد؛ هذا المنهج الوسطي يجسّد التوازن والاعتدال في كل شيء: في العقيدة التي تربط العبد بربه، وفي العبادة التي ترفع من منسوب الروحانية، وفي الأخلاق، والمعاملات، وكافة التشريعات بمنأى عن الإفراط والتفريط!

الوسطية هي الميزان الحاكم:

حدّث ولا حرج عن المزالق في مضمار الاجتهاد المعاصر، وفوضى الإفتاء، وتساقط الدعاة، وانتحار حركات بسبب التخلّي عن هذا المنهج الوسطي؛ فكان خرط القتاد، والضياع بكل معناه، بل التهلكة التي ألمّت بجسد هذه الأمة الإسلامية، وقد ألمعت أحاديث كثيرة إلى هذا الوضع المهترئ بسبب الانفلات عن منهج الوسطية إلى الغلوّ والتشدد والتنطع؛ منها:

1 – حديث: "إياكم والغلو في الدين؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"[1]. علمًا أن سنن الله ماضية لا تحابي أحدًا، وخارقة لحجب الزمان والمكان!

2 – وحديث: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثًا[2]. توكيدًا على خطورة التنطع، وأخطبوط التشدد من غير أساس أو لازم!

علمًا أن الخير برُمّته منحصر في فقه التوسُّط، وأن الله جلّ جلالُه إنما خلق الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل؛ من أجل إقامة العدل، ورعاية الميزان؛ ميزان الوسطية والاعتدال والتوازن؛ فقال سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7 – 9].

والطغيان –بلا ميْن– هو مجاوزة حدّ الوسط. بمعنى: السقوط في الغلو أو الإفراط!

والإخسار: هو مجاوزة حدّ الوسط إلى التقصير والتفريط.

وفي الآية إلماع إلى منهج الوسطية، أو الهدي القاصد!

---

(1) صحيح الجامع برقم (268).

(2) أخرجه مسلم عن ابن مسعود برقم (2670).

المنهج الوسطي هو الهدي القاصد:

عن بريدة الأسلمي ﷺ قال: خَرَجتُ ذاتَ يَوم لحاجةٍ، فإذا أنا بالنَّبيِّ ﷺ يَمْشي بيْنَ يَدَيَّ، فأخَذَ بيَدَيَّ، فانطَلَقْنا نَمْشي جَميعًا، فإذا نحن بيْنَ أيْدينا برَجُلٍ يُصلِّي يُكثِرُ الرُّكوعَ والسُّجودَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: أتُراهُ يُرائي؟ فقُلتُ: اللهُ ورسولُه أعلَمُ. فتَرَكَ يَدَيَّ مِن يَدِه، ثم جَمَعَ بيْنَ يَدَيهِ، فجَعَلَ يُصوِّبُهما وَيرفَعُهما، ويقولُ: **عليكم هَدْيًا قاصِدًا، عليكم هَدْيًا قاصِدًا، عليكم هَدْيًا قاصِدًا؛ فإنَّه مَن يُشادَّ هذا الدِّينَ يَغلِبْه"**[1].

وفي هذا الحديث دعوة صريحة من نبيّنا الحبيب ﷺ على اعتماد الهدي القاصد؛ وهو المنهج الوسطي أساسًا للخروج من الكبوات في طريق العمل والإصلاح، بل ومعالجة كافة التحديات المعاصرة باختلاف أطيافها؛ وهو منهج الوسطية الذي لا يوجد فيه ميل إلى اليمين، ولا انحراف إلى الشمال، لا طغيان فيه ولا إخسار، لا إفراط ولا تفريط!

---

(1) أخرجه أحمد برقم (22963) واللفظ له، والطيالسي برقم (847)، وابن خزيمة برقم (1179)، ومجمع الزوائد: 1/ 62، تخريج المسند لشعيب برقم (22963).

الوسطية والربانية:

إذا كانت غاية الربانية حسن الصلة بالله تبارك وتعالى والحصول على مرضاته؛ فإن الوسطية لا تشذُّ عن هذه المشكاة قيد أنملة؛ خصوصًا حين يكون المراد تحقيق الأهداف الإنسانية والاجتماعية، وأن الوسطية كلما بُسطت معالمها أسفرت عن الربانية؛ لأنها تنطلق من الربانية وتنتهي إليها، من حيث المصدر والوجهة، ولا وسطية باختلال البوصلة في المصدر والوجهة! والشعار: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا"[1]، وتمضي الحياة على قدم وساق في توازن واعتدال استجابة لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة: 201]. وقد كسبوا الحياتين، وحققوا السعادة الحقيقية لا الوهمية وفق هذه الوسطية!

الرسول ﷺ المثل الأعلى للوسطية:

بالمختصر المفيد؛ فقد كان **الرسول ﷺ المثل الأعلى المجسد للحياة الوسطية المتوازنة**، كما تخبر به سيرته العطرة،

---

(1) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم (3502)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (10161)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (2783).

وشمائله العظيمة؛ فهو الرسول العابد الزاهد، وهو الرسول الإنسان، وهو الزوج المثالي، وهو الأب والجد، وهو راعي حقوق الرحم والجوار والصداقة، وهو الرسول القائد العسكري، وهو العامل المتوكل، والقائم بعمارة الأرض المستمتع بطيباتها.

هذا وتشهد أقواله الوسطية على ذلك؛ منها:

• قوله ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"[1].

• وقوله ﷺ: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"[2].

• وقد دعا النبي ﷺ إلى القصد في كل شيء كقوله ﷺ: "فسددوا وقاربوا وأبشروا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا"[3]. خصوصًا قوله: "القصد القصد تبلغوا" بمعنى الزموا الطريق الأوسط المعتدل! ولما كان "القصد" مأمورًا به؛ دل على أحقية الوسطية في السلوك والحياة.

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (91).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب برقم (2819)، والحاكم في المستدرك: 4/ 135، وصححه.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق برقم (19786).

• ودعا ﷺ للتوسط بين الغلو والجفاء؛ قال ﷺ: "اقرؤوا القرآن واعملوا به، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به"[1].

• وقد أكد ﷺ قاعدة التيسير؛ منها قوله ﷺ: "عليكم من العمل ما تطيقونه، فوالله لا يمل الله حتى تملوا"[2]. لأن الالتزام بالمنهج الوسط سبب كافٍ في الاستمرار، على أن التكلفَ والغلوَّ سبب مجرّبٌ في الانقطاع!

• ورسخ ﷺ أن الحياة "ساعة وساعة"[3] كررها ثلاثًا؛ لأن النفس تملّ وتكلّ من الغلو، أو الميوعة؛ وخير الدين الوسط!

• وقد جمع بين التوكل والأخذ بالأسباب في قوله ﷺ: "قيدها وتوكل"[4].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند برقم (15529)، وقال مخرجوه: صحيح وهذا إسناد قوي، والطبراني في الأوسط برقم (2574)، وأبو يعلى في المسند برقم (1518)، والبيهقي في السنن: 2/ 17.

(2) أخرجه البخاري برقم (43)، وابن ماجة برقم (3435).

(3) أخرجه مسلم في كتاب التوبة برقم (2750).

(4) أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع برقم (2517)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (1068).

الصحابة وتابعوهم على منهج الوسط:

لا يمكن استيفاء أقوالهم وأفعالهم في الموضوع، ولكن نؤشّر على أن الصحابة وتابعيهم بإحسان يدعون باتزان واعتدال إلى منهج الوسطية، وفقه التوسُّط؛ وقد أُثرتْ عنهم كلمات برّاقة تدل بوضوح على التوسط؛ ومنها:

• قد وصفوا بأنهم كانوا على الدين الوسط، وعلى هدي الصراط المستقيم؛ تمامًا كما اشتهر وصفهم من قِبَل عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، وإتمام دينه، فاعرفوا فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وسيرتهم؛ **فإنهم كانوا على الهدي المستقيم**"[1].

• قال عمر بن الخطاب ﷺ: "ما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمع عنهم أقوام فغلوا، **إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم**"[2].

---

(1) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية: 6/ 43.

(2) أخرجه أبو داود برقم (4614).

• قال عمر بن إسحاق: "أدركتُ من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبقني منهم، فما رأيت قومًا أيسر سيرة، ولا أقلّ تشديدًا منهم"[1].

• قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "**خير هذه الأمة النمط الوسط**، يلحق به التالي، ويرجع إليه الغالي"[2].

• وقول ابن عباس رضي الله عنه: "القصد، والتؤدة، وحُسن السّمت: جزءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة"[3].

• قال حذيفة رضي الله عنه: "الحسنة بين السيئتين"[4].

• قال الحسن البصري: "دين الله وضع فوق التقصير، ودون الغلو"[5].

• قال سفيان الثوري: "إنما الفقهُ الرخصةُ عن ثقة، وأما التشديدُ؛ فيُحسنُه كل أحد".

---

(1) الاعتصام، الشاطبي: 1/ 305- 306.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في الزهد برقم (35639)، وأبو عبيدة في غريب الحديث: 3/ 482- 483.

(3) أخرجه مالك في الموطأ، بلاغا باب ما جاء في المتحابين برقم (3508).

(4) التمهيد، ابن عبد البر: 1/ 195.

(5) تلبيس إبليس، ابن الجوزي: 33.

الوسطية والاعتدال:

ولعل أبرز سمات التيسير ورفع الحرج: الوسطية والاعتدال، وأبرز سمات الوسطية: رفع الحرج؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: 143].

وهذا الوصف العام لأمتنا الإسلامية خاتمة الأمم؛ "فهي أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينًا وشمالًا عن خط الوسط المستقيم"[1].

وذلك لأنها وسطية قائمة على رفع الحرج والتيسير، وسطية متوازنة: "بين العقل والوحي، بين المادة والروح، بين الحقوق والواجبات، بين الفرد والجماعة، بين الإلهام والالتزام، بين النص والاجتهاد، بين المثال والواقع، بين الثابت والمتحول، بين استلهام الماضي والتطلع إلى المستقبل"[2].

---

(1) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: 24، ط1، 2002م، درا الشروق، القاهرة.

(2) ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق: 30، ط1، 2000م، دار الشروق، القاهرة.

الوسطية والقسط:

جاءت نصوص كثيرة في الأمر بالعدل والقسط، وإقامة الميزان وعدم إخساره، أو الطغيان فيه؛ وهو لا ينفك عن الوسطية والتوسط؛ لما بين العدل والوسطية من علاقة حميمية؛ وقد جاءت آيات كثيرة في ذلك؛ منها:

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

• قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58].

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

الوسطية وأوسط ما تطعمون:

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89]. وكفارة اليمين لمن كان حانثًا أن يفك رقبة، أو يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم، أو يصوم ثلاثة أيام، غير أن اللافت هنا هو تحديد النص لوجهة الإطعام والكسوة قيده بـ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي من العدل والقصد؛ أي "من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة"[1]؛ فتجلى في النص المنزع الوسطي فتأمل!

الوسطية وأخذ المصدق الوسط:

والمقصود أن الساعي الجابي جامع الزكوات والصدقات لا يجوز أن يأخذ من صاحب الصدقة كرائمها، لا صغيرًا، ولا كبيرًا، ولا هرمة، ولا ذات عيب، وإنما يأخذ الوسط، لا ضرر ولا ضرار. وقد روى أصحاب السنن بأسانيدهم المتصلة عن الزهري قال: "إذا جاء المصدق قسمت الشاء أثلاثًا: ثلث شرار، وثلث خيار، وثلث وسط؛ **فيأخذ المصدق من الوسط**"[2].

---

(1) كما نزع إليه الطبري في تفسيره: 7/ 13.

(2) أخرجه أبو داود برقم (1568)، والترمذي برقم (624)، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (7044).

الوسطية وعدم تعدي حدود الله:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 229]. وقال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: 1]. أي حدود الله في المعاصي التي يجب اجتنابها، والأوامر التي يجب امتثالها؛ وهو الدين الوسط الذي وضع الميزان من أجل ألّا نطغى في الميزان، ولا ننتهك تلكم الحدود؛ وهو عينُ الوسطية والاستقامة في دين الله ﷻ.

الوسطية والشمول:

تدرس الوسطية والشمول في مبحثين مستقلين، وبينهما جوهر الإحاطة والتوازن؛ بحيث إن رسالة الإسلام الموسومة بالوسطية موسومةٌ بالشمول أيضًا؛ بحيث إنها تطّرد على الزمن كله، والحياة كلها، وتطرد على كيان الإنسان كله؛ تمامًا كما أحسن الصياغة الشيخ حسن البنا -رحمه الله- فأجاد وأفاد وحقّق المراد: "إنها الرسالة التي امتدّت طولًا حتى

شملت آباد الزمن، وامتدّت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدّت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة"[1].

فرسالة الإسلام تتصل بجوانب الإنسان برمتها، تشمل روحه، وعقله، وبدنه، والتربية الإسلامية التي تتصل بالإنسان متوازنة ووسطية لا تركز على عقل الطفل فقط، ولا على روحه فقط، ولا على جسمه فقط! وأيُّما تركيز على جانب معين يخرم وسطية الإسلام في تكوين الإنسان، ويخدش كرامته وتوازنه في الحياة!

الوسطية والواقعية:

إن من أهم ما تميّزت به شريعتنا الغراء فضلًا عن الربانية، والشمول، والوضوح؛ خصيصة الواقعية، لكنها ليست في تضاد مع المثالية، بل تجمعهما الوسطية، أو إن الوسطية تلتقي مع الواقعية في الاعتدال والتوازن؛ حتى إننا نقول: إنها واقعية مثالية في آن واحد؛ بحيث إنها تسلم من إفراط غلاة المثاليين، ومن تفريط الواقعيين من عالم البشر؛ لذلك نحسب أن ديننا الحنيف قد راعى الواقع في كل ما دعا

(1) انظر سلسلة من تراث الإمام، لجمعة أمين عبد العزيز: 5/ 181، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1425هـ، 2004م.

الناس إليه من عقائده، وعباداته، وأخلاقه وكافة تشريعاته؛ ومن أدلة ذلك المزج بين الوسطية والواقعية قيامه على التيسير ورفع الحرج، ومراعاة سنة التدرج، واعتبار الضرورة الشرعية، ورفع العنت عن المكلفين، وقيام الرخص في الدين، واعتبار الفطرة؛ كل ذلك يُجلّي علاقة الوسطية بالواقعية، أو بكلمة: التماهي بين الواقع والمثال.

الوسطية والإنسانية:

الإنسان ليس جسدًا فقط، بل هو روح، وعقل؛ ما يجعلك تدرك علاقة الإنسانية بالوسطية؛ يكتمل الجانب الإنساني بإشباع كل الأبعاد في الإنسان، ومراعاة ذلك كله في الحياة مع النفس والآخر، وبشكل متوازن ومعتدل؛ وهي عين الوسطية الواقعة بين هذه الأبعاد دون طغيان بُعْدٍ على آخر!

الوسطية كالوادي بين جبلين:

قال ابن القيم: "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه، والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن

الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا يتجاوزه الحد"[1].

الوسطية طوق النجاة للأمة الإسلامية:

وأرى أن **منهج الوسطية طوق النجاة للأمة الإسلامية** في زخم التوتر الأيديولوجي بين الغلو، والانتحال، والتحريف[2]؛ وهو الجدير بمعالجة التحديات المعاصرة

---

(1) مدارك السالكين: 2/ 517.

(2) وقد بين النبي ﷺ أن التعامل العلمي مع النصوص هو وظيفة حصرية للعلماء الأثبات، فقال ﷺ: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله: ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين". وهذه عمليات تحليلية تخدم النص الشرعي، **فالانتحال** هو إضافة شيء إلى جوهر الدين بدعاوى واهية واهنة، **والتحريف** هو صرف النص وإخراجه عن معناه الحقيقي، **والتأويل** قد يكون المراد منه هو إلغاء دلالة النص الصحيحة وحشوه بمضامين يريدها قارئ النص.
وما أفاده الحديث السابق ينظر ولا شك إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 82]. تفاديًا للعبث بالنص الشرعي، تحدث العلماء الأصوليون في مباحث طويلة عن شروط القراءة السليمة.
وأول ما تجب مراعاته والحفاظ عليه هو استقلال النص وإبقاء صفائه وصونه عن الذاتية، وقد تردد لدى العلماء أن نص المؤلف وقف عليه. انظر قواعد الفهم والتفاهم، مصطفى ابن حمزة: 154- 155.

على إكراهاتها، ووقوف أدعياء التحرر والتحلل وتظاهرهم، وفي زمن الغلو، والتطرف، والتحجر!

الوسيطة منهجٌ سالكٌ:

ولعل **الوسطية منهجٌ سالكٌ في أفق تحقيق الأهداف المنشودة** والتي قامت حركات إسلامية لأجلها، وأحزاب سياسية، وطرق صوفية، وأعلام مستقلون، وأحرار كُثُر.

الوسطية والتوازن الكوني:

إن الوسطية تنم عن ظاهرة التوازن الدقيق في الكون كله

قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: 3]. وقال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]. إذن؛ فكلُّ شيء يجري على نظام متوازن وبقدَر؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

وكلُّ ما في الكون من توازن أخّاذ يضفي رونقًا على شرعة الحكيم الذي أحكم كل شيء، ومنهاجه الوسطي الخلّاب!

الوسطية ديدنُ الرسالة الخاتمة:

يوجد عدل في الرسالات السماوية على تفاوت غير أنهم غيروا وبدّلوا وحرّفوا؛ لكن والوسطية أليق بالرسالة الخاتمة والخالدة؛ لم تغل في المادية ولا الرهبانية، بل وسطية واعتدال، لا شرقية ولا غربية[1]؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 143].

أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل الأخرى:

أي في منهج الوسطية وفقه التوسّط بين عامة الفرق التي تعرف تشظّيًا مريعًا؛ لأنها تقف على طرفي نقيض، بين مشرّقٍ ومغرّب؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل الأخرى"[2].

قال ابن تيمية: "وأما أهل الجماعة فهم أقل اختلافًا في أصول دينهم من سائر الطوائف، وهم أقرب إلى كل طائفة من

---

(1) إشارة إلى شريعة الله المستمدة من نوره؛ قال سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

(2) مجموع الفتاوى: 3/ 141.

كل طائفة إلى ضدها؛ فهم الوسط في أهل الإسلام، كما أن أهل الإسلام هم الوسط في أهل الملل، هم الوسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل؛ وقال ﷺ: "خير الأمور أوسطها"[1]، وحينئذ أهل السنة والجماعة خير الفرق"[2].

الوسطية والاستقامة صنوان:

اعلم أن الوسطية تعني -على كل حال- الاستقامة كما في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 6- 7]. والاستقامة في المنهج تجعلنا نتحاشى الميل والانحراف، والحق إن المغضوب عليهم يمثلون المادية على حساب الروحانية، والنصارى يمثلون الرهبانية على حساب المادية، والاستقامة لا تجنف لليهودية، ولا للنصرانية، ثم إن اليهود قتلوا الأنبياء،

---

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، برقم (8822)، وابن أبي شيبة في المصنف، برقم (36276)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (6601)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (1252).

(2) منهاج السنة النبوية: 3/ 271.

والنصارى ألّهوهم.. وهكذا تنجلي معالم الوسطية في ديننا الحنيف دون إفراط أو تفريط!

وتظهر أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]. قال ابن تيمية: "ولما أمرنا الله سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم.. كان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين"[1] أو إلى إحدى السبل التي على كل سبيل شيطان يدعو إليه[2].

كما أنها تظهر في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]. والأمر ها هنا بالاستقامة؛ وهي التي لا تنفكّ عن الاعتدال، والسير على النهج الواضح دونما انحراف، ثم أردف أمره ﷻ بعدم

---

(1) مجموع الفتاوى: 1/ 65.

(2) عن عبد الله بن مسعود ﷺ: خطَّ رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا بيدِه ثم قال: هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال: هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153]. أخرجه أحمد برقم (4142)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (11174)، والدارمي برقم (202) باختلاف يسير.

الطغيان؛ وهو عدم الانحراف أو مجاوزة الحد بالتفريط أو الإفراط!

الوسطية بين البخل والإسراف:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]. وهي تجلٍّ للوسط والعدل في الإنفاق؛ وهو الجود والكرم والسخاء الواقع بين البخل والتبذير!

الوسطية بين الإسراف والتقتير:

وهو الوسط والتوسُّط نفسه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]. يرشد للاعتدال بين التقتير وبين الإسراف.

الوسطية بين الجهر والمخافتة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110]، سواء كان ذلك في الصلوات أو في الأذكار والأدعية، فالمطلوب هو التوسط بين الجهر والمخافتة؛ وابتغاء السبيل بين ذلك هو التوسط وروح الوسطية!

الوسطية في المشي والصوت:

قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]. وها هنا أمران مطلوبان:

1- **القصد في المشي**؛ وهو التوسط بين البطيء المتماوت، والسريع المفرط[1].

2- **الغضّ من الصوت**؛ وهو التوسط بين رفعه، أو الجهر بأكثر من الحاجة! وبين الانخفاض غير المفهم.

الوسطية دليلُ القوة ومركز الوحدة:

والوسطية دليل القوة، فالوسط هو مركز القوة، ألا ترى الشباب الذي يمثل مرحلة القوة وسطًا بين ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة!؟ والشمس في وسط النهار أقوى منها في أول النهار وآخره!؟

والوسطية تمثل مركز الوحدة ونقطة التلاقي، فعلى حين تتعدد الأطراف تعدُّدًا قد لا يتناهى؛ يبقى الوسط واحدًا،

---

(1) قال القرطبي: "واقصد في مشيك؛ أي توسط فيه، والقصد: ما بين الإسراع والبطء؛ أي لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشطار". الجامع لأحكام القرآن: 14/ 71.

يمكن لكل الأطراف أن تلتقي عنده؛ فهو المنتصف، وهو المركز. وهذا واضح في الجانب المادي، والجانب الفكري والمعنوي على سواء.

ومركز الدائرة في وسطها يمكن لكل الخطوط الآتية من المحيط أن تلتقي في نقطة ما، هي نقطة التوازن والاعتدال. كما أن التعدد والاختلاف الفكري يكون حتميًّا كلّما وجد التطرُّف، وتكون حدّته وشدّته بقدر حدة هذا التطرف، أما التوسط والاعتدال، فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها؛ ولهذا تثير المذاهب والأفكار المتطرفة من الفُرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ما لا تثيره المذاهب المعتدلة في العادة[1].

الاختلالات الدالة على غياب الوسطية:

وقد تميز الخطاب الوسطي بمعالم نفتقدها في واقنا المعاصر اليوم؛ نظرًا للسقوط بين طرفي الإفراط والتفريط، والتي عانت أمتنا دهرًا طويلًا من غلوّه، وغلوائه، وغلوله؛

(1) الخصائص العامة للإسلام، القرضاوي، موسوعة الأعمال الكاملة: 2/ 153- 154.

لدرجة وجود أمارات لا تعدو أن تخدش في صلب الفكر الوسطي من أساسه؛ ومن تلكم الأمارات البائسة:

• **استحواذ العقل على النص الصحيح الصريح وعدم التصالح معه**، وفي المقابل ظهور نزعة عدوانية للعقل ولو في فهم النص والكشف عن أسرار التشريع؛ والوسطية هي إعطاء كل ذي حق حقه، ولا وسطية في مورد النص، والعقل خادم للنقل، والنقل لا يمكن أن يعارض العقل الصريح!

• **استحواذ التشرذم والاختلاف على التآزر والائتلاف؛** وهو داء الأمم القاتل كما قال ﷺ: "دبَّ إليكُم داءُ الأمَمِ قبلَكم الحسَدُ والبغضاءُ هيَ الحالِقَةُ لا أقولُ تحلِقُ الشَّعَرَ، ولكن تحلِقُ الدِّينَ! والَّذي نفسي بيدِهِ لا تدخُلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمِنوا، ولا تؤمِنوا حتَّى تحابُّوا؛ أفلا أنبِّئُكُم بما يثبِّتُ ذاكُم لكم أفشوا السَّلامَ بينكُم"[1]. والفكر الوسطيُّ ينأى بالأمة عن الانحشار في صراعات وخصومات ودوّامات تضرب في غير عدوّ، وتشتط بنا نحو هاوية التشردم والتشظي، لا يكون الرابح فيها إلا العدوُّ الصهيوني؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]، وقال ﷺ: "سَمِعتُ رَجُلًا قَرَأ آيةً،

(1) أخرجه الترمذي برقم (2510) واللفظ له، وأحمد برقم (1412).

وسَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقرَأُ خِلافَها، فجِئتُ به النَّبيَّ ﷺ فأخبَرتُه، فعَرَفتُ في وجهِه الكَراهيةَ، وقال: كِلاكُما مُحسِنٌ، **ولا تَختَلِفوا؛ فإنَّ مَن كان قَبلَكُمُ اختَلَفوا فهَلَكوا**"[1]. وفي الحَديثِ: النَّهيُ عنِ الفُرقةِ والاخْتِلافِ!

• **استحواذ الغلو في التحريم**، وتوسيع دائرته في الأحكام، وكأن الأصل هو التحريم، ولا يوجد في الدنيا شيء حلال، ونقل الكراهة التنزيهية، ومخالفة الأولى إلى رقعة التحريم لا غير مع أن الأصل في الأشياء الإباحة لا الإباحية، وفي المقابل وجود أدعياء التحليل، وكأن الأصل الذي لا يُقاوم هو التحليل، ولو ورد ما يدلّ على التحريم، وكأنه لا يوجد في دنيا الناس شيء حلالٌ ألبتّة، والتساهل في القطعيات، وتأويل النصوص، لأجل التحليل فشعارهم الحلال والحلال، مع أن الوسطية تجعل الحرام حرامًا وإن كان ضيّقًا، والحلالَ حلالًا وإن كان غالبًا، وبالدليل -فقط- والحجة والفهم السديد، والتكييف الرصين، والاجتهاد القائم على أصوله نقول هذا

---

(1) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سَمِعتُ رَجُلًا قَرَأ آيةً سَمِعتُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ خِلافَها، فأخَذتُ بيَدِه، فأتَيتُ به رَسولَ اللهِ ﷺ، فقال: كِلاكُما مُحسِنٌ. قال شُعبةُ: أظُنُّه قال: لا تَختَلِفوا؛ فإنَّ مَن كان قَبلَكُمُ اختَلَفوا فهَلَكوا. أخرجه البخاري برقم (2410).

حلال، أو هذا حرام، وليس بمجرد التشهي والهوى! أو الانحراف لطرف التفريط، أو طرف الإفراط!

• **استحواذ حُسن النية دون تمحيص في الأعمال،** خصوصًا الأعمال الطائشة، والتصرفات الرعناء وغير المسؤولة، فالقصد الحسن لا يبرر الحرام؛ فهو نتيجة لقصور النظر، وضيق الأفق، وعدم حساب المآلات، وكم عمل مشين ذهب ضحيَّتَه عشرات الأبرياء؛ والفكرُ الوسطيُّ ها هنا لا بد أن يضطلع بدور المخلّص، والمُصلح، في الأخذ بأيديهم؛ حرصًا على حياتهم، وعلى حياة المجتمع، تمامًا كما فصّله حديث السفينة؛ عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ القائِمِ على حُدودِ اللهِ والواقِعِ فيها كمَثَلِ قَومٍ استَهَموا على سَفينةٍ، فأصابَ بَعضُهم أعلاها وبَعضُهم أسفَلَها، فكان الذينَ في أسفَلِها إذا استَقَوا مِنَ الماءِ مَرُّوا على مَن فوقَهم، فقالوا: لو أنَّا خَرَقنا في نَصيبِنا خَرقًا ولم نُؤذِ مَن فوقَنا، فإن يَترُكوهم وما أرادوا هَلَكوا جَميعًا، وإن أخَذوا على أيديهم نَجَوا، ونَجَوا جَميعًا"[1].

---

(1) أخرجه البخاري برقم (2493) واللفظ له، والترمذي برقم (2173)، وأحمد برقم (18370) باختلاف يسير. والرواية الأخرى الصحيحة: "مَثَلُ القائمِ علَى حدودِ اللهِ، والمُدَّهِنِ فيها، كمَثَلِ قَومٍ استَهَموا علَى

• **استحواذ العنف في أمتنا** بسبب التضييق على الفكر الوسطي المعتدل؛ وهو ما أتاح للعنف وأدعيائه أن يكون سيد الموقف، وأن ينشأ في سراديب معتمة لانفلاته من المحاسبة وتملصه من المسؤولية حتى تظهر أماراته فجأة هنا وهناك في تكفير الأمة وإخراجها من الملّة تارة، وفي تفجيرها في عمليات انتحارية تارة أخرى! لذا وجب الاهتمام بالخطاب الوسطي في أمتنا فهو الحلُّ الأمثلُ لأزمتنا، والحل لمشكلاتنا، والحل لعالمنا، وعصرنا؛ لأن العنف قد أسفر عن خلل كبير نتيجة فقه خارجي أحمق: فيه:

1-**خللٌ في فقه الجهاد،** وتصويب السهام على المسلمين من أهل القبلة أحيانًا، وما التفجيرات الحاصلة في البلاد الإسلامية عنا ببعيدة، ثم سهامهم على كل من كان كافرًا حتى وإن كانوا مسالمين لنا، ولم يكونوا محاربين، والفقه الوسطي يدرك أن المقاتلة تكون فقط للمحاربين لنا

سفينةٍ في البحرِ فأصابَ بعضُهُم أعلاها، وأصابَ بعضُهُم أسفلَها، فكانَ الَّذينَ في أسفلِها يصعدونَ فيستَقونَ الماءَ فيصبُّونَ علَى الَّذينَ في أعلاها فقالَ الَّذينَ في أعلاها: لا ندعُكُم تصعَدونَ فتؤذونَنا، فقالَ الَّذينَ في أسفلِها: فإنَّا نثقُبُها في أسفلِها فنَستَقي، فإن أخذوا علَى أيديهِم فمنَعوهُمْ نجَوا جميعًا وإن ترَكوهُم غرِقوا جميعًا".

والمقاتلين، وليست لكونهم كفارًا فقط؛ بل لعدوانهم علينا؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، إذ لو كان بسبب كفرهم فلماذا جاء النهي عن قتل الشيوخ، والنساء، والرهبان، والحراثين، والتجار وكل من كان في حكمهم[1]؛ لأن هؤلاء لا يحاربون فلا نحاربهم! والأصل أن القتال هو لحقن الدماء ومنع الفتن؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الأنفال: 39]. ولا يُتصور عند فقهاء الوسطية أن يكون القتال لإكراه الناس على الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، ويقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]. بل يجب البرور بهم، والقسط إليهم كما قال سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ

(1) عن أنس بن مالك مرفوعًا: "انطلقوا باسمِ اللهِ وعلى ملَّةِ رسولِ اللهِ لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تغلوا، وضموا غنائِمَكم، وأصلحوا، وأحسنوا إنَّ اللهَ يحبُّ المحسنين". أخرجه أبو داود برقم (2614)، والبيهقي برقم (18617) مطولًا، وابن أبي شيبة في المصنف، برقم (33790) باختلاف يسير.

وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8- 9].

2- **خللٌ في فقه تغيير المنكر بالقوة**؛ وقد نفّروا من الدين عوض أن يبشّروا وييسروا! والانغماس في التغيير من غير استيفاء شروطه؛ هو ضربٌ من العجلة التي تجني منها أشواكًا وابتلاءات نحن في غنًى عنها؛ فأصحاب الرؤية الوسطية يدركون متى يغيرون المنكر، وكيف يغيرونه:

- **يجب أن يكون منكرًا بيّنًا محرّمًا مجمعًا على كونه منكرًا**، وأما ما كان مختلَفًا فيه فلا إنكار في المسائل الاجتهادية، أو محل الخلاف؛ كمن كسر إصبع من حركه في التشهد.

- **وأن لا يُخشى من الاندفاع إلى التغيير أن يترتب عليه منكرٌ أكبرُ منه** كمن ناقش الإمام في عدد الركعات من صلاة التراويح؛ وعند اشتداد الملاسنة أغلق المسجد، وعطلت الفريضة بعد النقاش عن السنة!

- **وأن يكون التغيير برفق ولين**؛ لأن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه[1]، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره[2].

3- **خللٌ في فقه الخروج على الحاكم**؛ وقد أوردوا الناس موارد الفتن! وظهور جماعات تمثّل الفريضة الغائبة عندهم؛ أوجبوا الخروج المسلّح على الحاكم المسلم الذي لا يحكم بما أنزل الله[3]، ونسوا أن الأمر فيه تفصيل؛ فإن كان الحاكمُ مسلمًا غير راض بالإكراهات الدولية، لكنه يمكّن للشأن

---

(1) عن عائشة أم المؤمنين أن ال النبي ﷺ قال: "إنَّ الرِّفقَ لا يَكونُ في شَيءٍ إلَّا زانَه، ولا يُنزَعُ مِن شَيءٍ إلَّا شانَه. [وفي روايةٍ]: رَكِبَت عائِشةُ بَعيرًا، فكانَت فيه صُعوبةٌ، فجَعَلَت تُرَدِّدُه، فقال لها رَسولُ اللهِ ﷺ: عليكِ بالرِّفقِ... ثُمَّ ذَكَرَ بمِثلِه". أخرجه مسلم برقم (2594)، وأبو داود برقم (2478)، وأحمد برقم (24938)، وابن حبان برقم (550) باختلاف يسير. وفي الحديث: فَضلُ الرِّفقِ والحثُّ على التَّخلُّقِ به، وذمُّ العُنفِ، وأنَّ الرِّفقَ سَببُ كلِّ خَيرٍ.

(2) عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: "يا عائِشةُ، إنَّ اللهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العُنفِ، وما لا يُعطي على ما سِواه". أخرجه البخاري برقم (6927)، ومسلم برقم (2593).

(3) بناء على أدلة منها قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44].

الديني، ويحارب البدع والمنكرات، فلا يمكن أن نضعه في قفص الكفر، ونخرجه من الملة بناء على أدلة ظاهرة، وعمومات ومطلقات قيّدتها وخصّصتها نصوص وأدلة أخرى، مثل التي دعت إلى الصبر على جور الأئمة[1] ما لم يظهر منهم كفرُ بواح عندنا فيه من الله برهان[2]. وإننا في الفكر

---

(1) عن عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَن كَرِهَ مِن أميرِه شيئًا فليَصبِرْ عليه؛ فإنَّه ليس أحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلطانِ شِبرًا، فماتَ عليه، إلَّا ماتَ مِيتةً جاهِليَّةً". أخرجه البخاري برقم (7053)، ومسلم برقم (1849). وفي الحديثِ: الزَّجرُ والتحذيرُ مِنَ الخُروجِ على وَليِّ الأمرِ. وعن أبي حازم، قال: قاعَدتُ أبا هُرَيرةَ خَمسَ سِنينَ فسَمِعتُه يُحَدِّثُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قال: "كانَت بَنو إسرائيلَ تَسوسُهمُ الأنبياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبيٌّ خَلَفَه نَبيٌّ، وإنَّه لا نَبيَّ بَعدي، وسَتكونُ خُلَفاءُ فتكثُرُ، قالوا: فما تَأمُرُنا؟ قال: فُوا ببَيعةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ، وأعطوهم حَقَّهُم؛ فإنَّ اللهَ سائِلُهم عَمَّا استَرعاهم". أخرجه البخاري برقم (3455) ومسلم برقم (1842)، وابن ماجه برقم (2871)، وأحمد برقم (7960) باختلاف يسير.

(2) ونصه كاملًا: دَخَلنا على عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ وهو مَريضٌ، قُلنا: أصلَحَك اللهُ، حَدِّث بحَديثٍ يَنفَعُك اللهُ به، سَمِعتَه مِنَ النَّبيِّ صلَّى ﷺ، قال: دَعانا النَّبيُّ ﷺ فبايَعناه، فقال فيما أخَذَ علينا: أن بايَعَنا على السَّمعِ والطَّاعةِ، في مَنشَطِنا ومَكرَهِنا، وعُسرِنا ويُسرِنا، وأثَرةً علينا، وأن لَا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، إلَّا أن تَرَوا كُفرًا بَواحًا، عِندَكُم مِنَ اللهِ فيه بُرهانٌ". أخرجه البخاري برقم (7055)، ومسلم برقم (1709)، والبيهقي

الوسطي نحافظ على وحدة الأمة الإسلامية واستقرارها، ونعمل قصارى الجهد على حقن الدماء فيها، ونسدُّ كل أبواب الفتنة!

4- **خللٌ في فقه التكفير**؛ وقد كفروا العلماء، والأقارب، والأمة! بل قالوا: من لم يكفّر الكافر؛ فهو كافر! ومن رضي بالواقع فهو كافر! والفكر الوسطي في خطابه الوسطي لا يكفر أحدًا من أهل القبلة، ولا يكفر من نطق بالشهادتين؛ لحديث: ".. فإذا قالوا لا إلهَ إلا الله؛ فقد عصمُوا منّي أموالهُم وأنفسهُم إلا بحقِّهَا وحسابهُم على اللهِ"[1]. ولما قتلوا في السرية أحدًا بالرغم من نطقه كلمة التوحيد؛ قال النبي ﷺ لمعاذ: "أفلا شقَقتَ عن قلبِهِ حتَّى تعلمَ مِن أجلِ ذلِكَ قالَها أم لا؟"[2].

برقم (16631) واللفظ لهما، والنسائي برقم (4153)، وأحمد برقم (15653) باختلاف يسير.

(1) أخرجه البخاري برقم (2946)، ومسلم برقم (21)، وأبو داود برقم (2640)، والترمذي برقم (2606)، والنسائي برقم (3090)، وابن ماجه برقم (3927) بنحوه، وأحمد برقم (8163) واللفظ له.

(2) بعثَنا رسولُ اللهِ ﷺ سريَّةً إلى الحُرقاتِ فنَذروا بنا فَهَربوا فأدرَكْنا رجلًا فلمَّا غشيناهُ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ فضَربناهُ حتَّى قتلناهُ فذَكَرتُهُ للنَّبيِّ ﷺ فقالَ: من لَكَ بـ (لا إلَهَ إلَّا اللهُ) يومَ القيامةِ فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّما قالَها مَخافةَ السِّلاحِ. قالَ: أفلا شقَقتَ عن قلبِهِ حتَّى تعلمَ مِن أجلِ



ذلِكَ قالَها أم لا؟ مَن لَكَ بلا إلَهَ إلَّا اللهُ يومَ القيامةِ؟ فما زالَ يقولُها حتَّى وَدِدْتُ أنِّي لم أُسلِم إلَّا يومئذٍ". أخرجه أبو داود برقم (2643) واللفظ له، والبخاري برقم (4269)، ومسلم برقم (96) باختلاف يسير.

المبحث الثاني
الوسطية: معالم وضوابط ومحاذير

تمهيد:

ننتقل إلى المبحث الثاني الذي نحشد فيه كل ما يدلّ على الوسطية من مظاهر، ومعالم، ومعايير، وضوابط، ومحاذير: صوًى على طريق معالجة كل المشكلات الحديثة، والتحديات المعاصرة وفق الآتي:

لا وسطية في مورد النص:

لا يمكن أن نرخي العنان لوسطية جامحة، تنفلت من عرين النصوص الشرعية، بدعوى التساهل والتوسعة، خصوصًا لدى النصوص الصحيحة، والصريحة. وإن الوسطية ينبغي أن تكون ملائمة لتصرفات الشارع، غير غريبة الأطوار عنه، متناسبة مع كليات الشريعة، وقواعدها العامة.

الوسطية مع جلب المصالح وتكثيرها:

وكأنه معيارٌ آخر في مصداقية الوسطية؛ بحيث ينبغي أن تكون ثمارها منصبّةً على تحقيق المصالح، وتكثيرها، فلو

ألبس أيُّما عمل لبوسًا ينأى عن المصالح، أو يلغيها، ويقلّلها، فالوسطية حينئذ تكون مخرومة، ومطعونًا فيها إذ لم تجرِ على مراد الشريعة، ومقاصدها!

الوسطية في دفع المفاسد أو تقليلها:

وهذا المعيار واضحٌ جدًّا، فلا وسطية في خدمة المفاسد، أو محاولة تكثيرها؛ مهما حُلّيت من حلل قشيبة، فلا يمكن إطلاق الوسطية على عمل مهما ظهر بريقه إذا لم يسهم في درء المفاسد، وتقليلها، وحتى قاعدة: "درء المفاسد مقدم على جلبها" محل نقد؛ لأنه لا يمكن تعطيل مصالح واقعة أو متوقّعة بذريعة احتمال المفسدة، وشم بعض ريحها!

الوسطية تجري وفاقًا للشرع:

لحديث النبي ﷺ: "لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ بهِ"[1]. ذلك لأن الوسطية لا تسترسل في التساهل والهوى، والشهوات، وأمزجة الناس، بل يجب أن تتكيف في

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (15)، والخطيب في تاريخ بغداد 4/ 368، واللفظ لهما، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى برقم (209) باختلاف يسير.

مناخ الشريعة، وأن يكون هوى الإنسان في وسطيته تبعًا لما جاءت به الشريعة.

الشريعة جارية على التوسط:

قال الشاطبي: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال؛ كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك.. فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين؛ كان التشريع رادًّا إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه، فعلى الطبيب الرفيق أن يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته، وقوة مرضه وضعفه، حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقا في التدبير وسطا لائقا به في جميع أحواله.."[1].

---

(1) الموافقات: 2/ 279.

الوسطية وسهولة التكليف:

إن القارئ القاصد لتاريخ التشريع وروحه وأسراره؛ يجد أن التكليف يمتنع فيه أن يكون خارجًا عن طاقة الإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وأن النبي ﷺ لم يجار أمته على العنت؛ فقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: 7]. بل إن النهي مطّردٌ عن السؤال فيما يؤول إلى العنت أو التكليف بما لا يستطاع؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: 101]. واعلم أن الصحابة حين ألحّوا على الحبيب المصطفى ﷺ بالسؤال أجاب بكل وضوح وصراحة فقال: "ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم"[1]. بل إن مثل هذه الأسئلة التنطّعية موردة في المهالك، كان المصطفى ﷺ يسدّ كل ثلمة يمكن أن يتسلل منها العنت؛ وقد سأله أحد الصحابة عن الحج: هل يجب كل عام؛ فحسم الأمر طبقًا لمنهاجه الوسطي المعتدل، والمستمر: "لا، ولو قلتُ نعم؛ لوجبت ولم تقدروا"[2].

---

(1) أخرجه مسلم برقم (1137).

(2) عن أبي هريرة ﷺ قال: خَطَبَنا رَسولُ اللهِ ﷺ، فقال: أيُّها النَّاسُ، قد فرَضَ اللهُ عليكُمُ الحَجَّ، فحُجُّوا، فقال رَجُلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رَسولَ اللهِ؟

وطلب منهم لأجل عدم الانقطاع فقال: "وإذا أمَرتُكُم بأمرٍ فأتوا منه ما استَطَعتُم"[1].

لذا كان النبي ﷺ يقول تفاديًا لعنت التكليف ومشقته: "لَولا أن أشُقَّ على أُمَّتي -أو على النَّاسِ- لَأمَرتُهم بالسِّواكِ مع كُلِّ صَلاةٍ -وفي رواية مع كل وضوء-"[2]. وقد ترك التراويح وامتنع عن الخروج إلى الصحابة رحمة بهم فعلّلها قائلًا: "خَشيتُ أن تُفرَضَ عليكم، فتَعجِزوا عَنها"[3].

فسَكَتَ، حتَّى قالها ثَلاثًا، فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: "لو قُلتُ: نَعَم، لَوجَبَت، ولَما استَطَعتُم، ثُمَّ قال: ذَروني ما تَرَكتُكُم؛ فإنَّما هَلَكَ مَن كان قَبلَكُم بكَثرةِ سُؤالِهم واختِلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمَرتُكُم بشيءٍ فأْتوا منه ما استَطَعتُم، وإذا نَهَيتُكُم عن شيءٍ فدَعوه". أخرجه مسلم برقم (1337).

(1) قال ﷺ: "دَعوني ما تَرَكتُكُم، إنَّما هَلَكَ مَن كان قَبلَكُم بسُؤالِهم واختِلافِهم على أنبيائِهم، فإذا نَهَيتُكُم عن شيءٍ فاجتَنِبوه، وإذا أمَرتُكُم بأمرٍ فأتوا منه ما استَطَعتُم". أخرجه البخاري برقم (7288)، ومسلم برقم (1337).

(2) أخرجه البخاري برقم (887)، ومسلم برقم (252).

(3) عن عائشة أم المؤمنين: "أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ ذاتَ لَيلةٍ مِن جَوفِ اللَّيلِ، فصَلَّى في المَسجِدِ، فصَلَّى رِجالٌ بصَلاتِه، فأصبَحَ النَّاسُ فتَحَدَّثوا، فاجتَمع أكثَرُ منهم، فصَلَّوا معهُ، فأصبَحَ النَّاسُ فتَحَدَّثوا، فكَثُرَ أهلُ المَسجِدِ مِنَ اللَّيلةِ الثَّالِثةِ، فخَرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ، فصَلَّوا بصَلاتِه، فلَمَّا كانَتِ اللَّيلةُ الرَّابِعةُ عَجَزَ المَسجِدُ عن أهلِه حتَّى خَرَجَ

الوسطية والتخفيف:

مع أن الصحابة مستعدون للتلقي، ولو بدفع الثمن لدرجة العنت والمشقة؛ فإن التشريع جنح بهم إلى الوسط والتخفيف؛ فقال تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66]. وهكذا نزع التشريع الوسطي إلى التخفيف من أجل الاستمرار.

جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي واللهِ لَأتَأخَّرُ عن صَلاةِ الغَداةِ مِن أجلِ فُلانٍ؛ ممَّا يُطيلُ بنا فيها، قال: فما رَأيتُ النَّبيَّ ﷺ قَطُّ أشَدَّ غَضَبًا في مَوعِظةٍ منه يَومَئذٍ، ثُمَّ قال: "يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ مِنكُم مُنَفِّرينَ، فأيُّكُم ما صَلَّى بالنَّاسِ فليوجِزْ؛ فإنَّ فيهمُ الكَبيرَ، والضَّعيفَ، وذا الحاجةِ"[1].

المقاصد أبرز سمات المدرسة الوسطية:

اعلم أن خيوط المقاصد من رفع الحرج والتيسير واعتبار المصالح والمآلات والتجديد والرحمة والاعتدال..

لصَلاةِ الصُّبحِ، فلَمَّا قَضى الفَجرَ أقبَلَ على النَّاسِ، فتَشَهَّدَ، ثُمَّ قال: أمَّا بَعدُ، فإنَّه لم يَخْفَ عليَّ مَكانُكُم، لَكِنِّي خَشيتُ أن تُفرَضَ عليكم، فتَعجِزوا عَنها". أخرجه البخاري برقم (924).

(1) أخرجه البخاري برقم (7159)، ومسلم برقم (466).

كل أولئك سمات هذه المدرسة على سواء؛ وقد تبيّنت مركزية علم المقاصد في معالم الوسطية، يقول الشيخ القرضاوي -رحمه الله:

"وتتميز المدرسة الوسطية بإيمانها المطلق -الذي لا ريب فيه- بحكمة الشريعة في كل ما جاءت به من أحكام، وأن لها في كل ما شرعته: مقصدا تهدف إلى تحقيقه، يتضمن خير الخلق ومصلحتهم في الدنيا والآخرة، وأن هذه المقاصد -في غير التعبديات- يمكن أن تعرف، بل ينبغي أن تعرف؛ لتبنى عليها الأحكام من ناحية، وتطمئن بها قلوب المكلفين من ناحية أخرى، إذا تعبدوا بما يدركون حكمته وفائدته، وما يعرفون أسراره وأغواره..

ومن خصائصه هذه المدرسة: أنها تتبنى خط التيسير على الخلق، والتخفيف عنهم.. فالتيسير هو المنهج القرآني، والمنهج النبوي، وهو الذي علمه الرسول لأصحابه وأمرهم باتباعه أفرادًا أو جماعة.. فالمطلوب هو التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة..

وتؤمن المدرسة الوسطية بعالمية الإسلام، وأنه رحمة للعالمين، ودعوة للناس جميعًا، ولهذا لا تشغلها المشكلات المحلية عن البعد العالمي، فهي تؤمن بوحدة الأسرة البشرية،

وأنها جميعا تنتمي من ناحية الخلق إلى رب واحد، ومن ناحية النسب إلى أب واحد، وتتبنى التسامح بين الأديان، والحوار بين الحضارات، ناهيك بالتقريب بين المذاهب..

وأول مرتكزات المدرسة الوسطية: أنها تجتهد في البحث عن مقصد النص الشرعي وهدفه، قبل أن تسارع بإصدار الحكم من مجرد لفظه. وذلك لا يكون إلا بطول البحث والتدبر للنصوص الواردة.

إن من المهم لكل مجتهد –كلي أو جزئي– في مسألة من المسائل: أن يعرف مقصد الشارع فيما أمر به أو فيما نهى عنه. حتى يكون حكمه على المسألة حكما صحيحًا. إن المقصد الشرعي هنا له دخل في توجيه الحكم بالوجوب أو الاستحباب في المأمورات، وفي التحريم أو الكراهية في المنهيات، وفي الحكم بالحل والإباحة فيما عدا ذلك.

إنه لا يتصور أن يكون الشيء من الضروريات التي لا تقوم الحياة إلا بها، ثم يكون حكمه هو مجرد الاستحباب، ناهيك بالإباحة. ولا يتصور أن يكون الشيء مما يناقض هذه الضروريات، بل مما يأتي عليها بالنقص والبطلان، ثم يكون حكمه الكراهة، ناهيك بأن يكون مباحا، ولا يتصور أن يكون

الشيء من التحسينيات أو الكماليات -كما نقول في عصرنا- ثم يكون حكمه الإيجاب والفرضية الملزمة.."[1].

الموازنة بين الثابت والمتغير:

• من خصائص فقه التوسُّط: هذه الموازنة بين الثوابت والمتغيرات؛ من أجل أن تبقى للثوابت والقطعيات حرمتُها دون خرقها، أو تسويتها بالمتغيرات وما يجري عليها.

• وتتجلى الوسطية في الثبات على الأصول، والمرونة في الفروع، والثبات على الكليات، والمرونة في الجزئيات، والثبات على الغايات والمرونة في الوسائل، والثبات على القطعيات والمرونة في المتغيرات، والثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية.

• تضطرب الحياة باختلال البوصلة في تقديم ما محله التأخير، وتأخير ما محلُّه التقديم، وإثبات ما شأنه المرونة والتطور، وتطوير ما شأنه الثبات والخلود!

• قصة تأبير النخل توحي بأن الجوانب التجريبية متغيرة ومتروكة للعقل الحصيف؛ وقد ورد فيها حديث: "أنتُم أعلَمُ

(1) بين المقاصد الكلية والمقاصد الجزئية: 78 وما بعدها.

بأمرِ دُنياكُم"[1]. وليس في هذا الحديث -كما تصوره بعض الشانئين- إلغاء للنظم الإسلامية، وترك الناس يتحاكمون لغير شرع الله؛ بدعوى أنتم أدرى بأمر دنياكم!

الوسطية وإحياء قيم الاجتهاد:

•الالتزام بمنهج الوسطية يلهم فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ويلهب حماسة حل المشكلات المعاصرة، وأن لكل نازلة حكمًا بالتكييف الفقهي المرن، والمتزن، القائم على فقه التيسير؛ قال سفيان الثوري: "إنما الفقه الرخصة عن ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد"[2].

•ويكون شعار علماء الوسطية: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه! وربما عوض العذر: التحاور والتفاهم في مساحة الاختلاف لتقليصه، بغية الاتفاق!

---

(1) عن أنس بن مالك ﷺ "أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بقَوم يُلَقِّحونَ، فقال: لو لم تَفعَلوا لَصَلَحَ، قال: فخَرَجَ شيصًا، فمَرَّ بهم فقَال: ما لنَخلِكُم؟ قالوا: قُلتَ كَذا وكَذا، قال: أنتُم أعلَمُ بأمرِ دُنياكُم". أخرجه مسلم برقم (2363)، وأحمد (12544)، وأبو يعلى برقم (3480)، وابن حبان برقم (22) جميعهم بلفظ مقارب.

(2) انظر المجموع في شرح المهذب، المقدمة: 1/ 42.

•وأعلام الوسطية يدركون أن الاجتهاد ما كان أصلًا حاكمًا إلا ليملأ الفراغ التشريعي، وفق ما تمليه المصلحة التي عند التحقيق راسخة في كل المذاهب، وكذا درء المفسدة، وسدّ الذرائع، وإقامة القسط والعدل، وإشاعة الأمن، وملاءمة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ورعاية مقاصد الشريعة الإسلامية.

•لذا يرون أن الاجتهاد فريضة وضرورة: فريضة ألزمها الشرع الحنيف، وضرورة حتّمها الواقع بكل تداعياته ونوازله!

الربط بين الجزئيات والكليات:

فأهم ما يميز المدرسة الوسطية هو هذا الربط المتين بين الجزئيات والكليات؛ حتى نتشبع بفقه التوسط دون أن يميل لطرف، أو يجنف إلى شذوذ؛ "فهذه هي الوسطية القرآنية: لا طغيان في الميزان، ولا إخسار في الميزان. وتتجلى وسطية هذه المدرسة في موضوعنا بأنها تربط بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، وتفهم الجزئيات في ضوء الكليات، ولا تغلو في اتباع ظواهر النصوص، والتمسك بحرفية الألفاظ: غلو المدرسة اللفظية التي سميناها "مدرسة الظاهرية

الجدد".. كما لا تفرط فتعمد إلى إهمال النصوص، والإعراض عنها تفريط المدرسة التغريبية التي سميناها "مدرسة المعطلة الجدد".

تؤمن المدرسة الوسطية بأن أحكام الشريعة معللة وأنها كلها على وفق الحكمة، وأن عللها تقوم على رعاية مصلحة الخلق"[1].

الأصل في الفتوى التيسير وفي الدعوة التبشير:

• وهي عبارة سليمة تعني التيسير في الفقه والفتوى، والفروع والتشديد في الأصول والثوابت والقطعيات.

• والتبشير في الدعوة والتوجيه والسير إلى الله.

• وليس معناه أن نحمل النصوص على التيسير قسرًا؛ فتدخل أهواؤنا وأمزجتنا في الاختيارات!

• التيسير هو اختيار ما هو أرفق بالناس، وأوفق بمصالحهم، وكل ما هو متاحٌ في التخفيف عنهم، وعند تساوي القولين بين الأحوط والأيسر؛ اخترنا الأيسر!

• من علامات تيار الغلو والتطرف: منهج التشدد والتعسير في الفتوى، والتنفير في الدعوة.

---

(1) دراسة في فقه مقاصد الشريعة: 137.

• كان من أوصاف النبي ﷺ اختيار الأيسر؛ عن عائشة أم المؤمنين قالت: "ما خُيِّرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرَينِ قَطُّ إلَّا أخَذَ أيسَرَهما، ما لم يَكُنْ إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعَدَ النَّاسِ منه، وما انتَقَمَ رَسولُ اللهِ ﷺ لنَفسِه في شيءٍ قَطُّ، إلَّا أن تُنتَهَكَ حُرمةُ اللهِ، فيَنتَقِمَ بها للهِ"[1].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرَجْنا في سفَرٍ فأصابَ رجلًا منَّا حجَرٌ فشجَّهُ في رأسِهِ، ثمَّ احتَلَمَ فسألَ أصحابَهُ فقالَ: هل تَجِدونَ لي رخصةً في التَّيمُّمِ؟ فَقالوا: ما نجِدُ لَكَ رُخصةً وأنتَ تقدرُ علَى الماءِ! فاغتسَلَ فماتَ فلمَّا قدِمنا علَى النَّبيِّ ﷺ أُخْبِرَ بذلِكَ فقالَ: "قَتلوهُ قتلَهُمُ اللهُ ألا سألوا إذْ لَم يعلَموا؛ فإنَّما شفاءُ العيِّ السُّؤالُ، إنَّما كانَ يَكْفيهِ أن يتيمَّمَ ويعصرَ - أو يعصبَ شَكَّ موسَى- علَى جرحِهِ خرقةً، ثمَّ يمسحَ عليها، ويغسِلَ سائرَ جسدِهِ"[2].

---

(1) أخرجه البخاري برقم (6126)، ومسلم برقم (2327).

(2) أخرجه أبو داود برقم (336) واللفظ له، والدارقطني: 1/ 189، والبيهقي برقم (1115).

رعاية المقاصد ومصالح الناس:

• لأن المقاصد -كما قال الشاطبي- أرواح الأعمال؛ بحيث إن أي شيء من غير إدراك أسراره، وغاياته؛ يصبح مثل الجثث الهامدة، وبلا طعم أو روح!

• وربط الجزئيات بالكليات.

• اعتبار الضرورة الشرعية، والقواعد المنبثقة عنها مثل: "الضرورات تبيح المحظورات"، "الضرورة تقدر بقدرها"، "الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة".

• اعتبار المصالح المرسلة والقواعد المنبثقة عنها؛ مثل: "لا ضرر ولا ضرار"، "ارتكاب أخف الضررين"، "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"، "تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة"، "المشقة تجلب التيسير".

• مراعاة سنة التدرج والمرحلية؛ لذا كانت الدعوة في مكة لبناء العقيدة وفي المدينة لقيام الدولة وتهاطل التشريعات!

• روي أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قال له ابنه عبد الملك: يا أبت ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق! فقال عمر: "لا تعجل يا بني! فإن الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة،

وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة: فيدفعوه جملة؛ ويكون من ذا فتنة!"[1].

الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

• وبعضهم يقول: الجمع بين السلفية والتصوف، ويرحم الله وزير الأوقاف بالمغرب د. عبد الكبير المدغري كتب عن "التصوف السلفي".

• الأصالة تتمثل في العودة للأصول والجذور في حين المعاصرة والتجديد تعني المواكبة للتطور، والمعايشة للعصر!

• اعلم أن التجديد الحق لا يكون إلا أصيلًا، والأصالة الحقة لا تكون إلا مجددة!

• ضرورة المصالحة بين السلفية والتصوف السني.

الوسطية بين الظاهرية والمؤولة:

• هذا الاعتدال هو توازن بين الجمود على ظاهر النص، والتوسع في التأويل بلا مسوّغ شرعي أو لغوي!

---

(1) الموافقات، الشاطبي: 2/ 14.

• حتى لا تنحرف القراءة للنص القرآني، والحديثي إلى تفسير أعرج وأحيانًا إلى شرح أخرق يبعد النجعة عن السياق! هي أشبه بالباطنية ممن حرفوا الكلم عن مواضعه، وأفرغوا الآيات من محتواها، وملأوها بالأيديولوجية المتحكّمة التي وضعوها وما أنزل الله بها من سلطان!

• نَهى رَسولُ اللهِ ﷺ "أن يَطرُقَ الرَّجُلُ أهلَه لَيلًا يَتَخَوَّنُهم، أو يَلتَمِسُ عَثَراتِهم"[1]. والعلة في النص مبيّنةٌ، فلماذا نتمسك بظاهره ونهمل مقصده، ونمنع القادم من سفر أن يطرق أهله ليلًا!؟ خصوصًا في زمن التواصل، وقد يعلمها وهو قادم، وربما تستقبله هي وأولاده في المطار!

الوسطية بين المظهر والجوهر:

نجد تصرفات مختلفة بين المسلمين؛ فيهم من يُعنى بالمظهر وينسى المخبر، وكافة اهتماماته على المظاهر والأشكال والرسوم؛ حتى تصير لديه ثقافة في الباب يبرر فيها سلوكاته الرعناء أحيانًا. وفي المقابل نلاحظ من يُعنى بالمخبر

---

(1) وفي رواية: عَنِ النَّبيِّ ﷺ بكَراهةِ الطُّروقِ، ولَم يَذكُرْ: يَتَخَوَّنُهم، أو يَلتَمِسُ عَثَراتِهم. أخرجه البخاري برقم (1801) مختصرًا، ومسلم برقم (715).

والأمور الروحانية، وينسى الهدي الظاهر، والشكل المطلوب!

إن الوسطية منهج سلوكي يجمع بين الجوهر والمظهر؛ بحيث لا يجوز أن نرتب الشكل الخارجي، والمظاهر على أحسن ما يُرام، وقلوبنا خرِبَة، فيها الحقد، والحسد، والكراهية، فكما نريد النقاء في الظاهر، نريد النقاء وأكثر في الباطن؛ وهي الوسطية الساطعة.

فالإيمان ما وقر في القلب، وصدّقه العمل، ما وقر الجوهر، وصدّقه العمل في الظاهر فتأمل!

والإيمان أصلًا هو تصديقٌ بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان؛ فهو باطن وظاهر؛ قد اختزله بشقّيه الجوهري والمظهري؛ قال ﷺ: "الإيمانُ بضعٌ وسَبعونَ -أو بضعٌ وسِتُّونَ- شُعبةً، فأفضَلُها قَولُ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عَنِ الطَّريقِ، والحَياءُ شُعبةٌ مِنَ الإيمانِ"[1]. وقد حاول أن يجمعها الإمام البيهقي بعنوان: "شعب الإيمان"!

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد واللفظ له، وأبو داود برقم (4676)، وابن ماجه برقم (57) باختلاف يسير، وهو في صحيح البخاري برقم (9) مختصرًا.

فعلى سبيل المثال لا الحصر موضوع التقوى له تجليات في مظاهر المتّقي من هديه الخارجي، وسمته الحسن، وعباداته، وخشوعه، وارتياده المساجد، وأمره بالمعروف ونهييه عن المنكر، فإن له -كذلك- جوهرًا في النفس والقلب؛ لذلك قال النبي ﷺ: "التَّقوى هاهنا. ويُشيرُ إلى صَدرِه ثَلاثَ مَرَّاتٍ"[1]. وقال ﷺ: "ألا إنَّ حِمى اللهِ في أرضِه مَحارِمُه، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضغةً إذا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وإذا فسَدَت فسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، ألا وهي القَلبُ"[2].

---

(1) عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لا تَحاسَدوا، ولا تَناجَشوا، ولا تَباغَضوا، ولا تَدابَروا، ولا يَبِعْ بَعضُكُم على بَيعِ بَعضٍ، وكونوا عِبادَ اللهِ إخوانًا. المُسلِمُ أخو المُسلِمِ، لا يَظلِمُه، ولا يَخذُلُه، ولا يَحقِرُه. التَّقوى هاهنا. ويُشيرُ إلى صَدرِه ثَلاثَ مَرَّاتٍ. بحَسبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أن يَحقِرَ أخاه المُسلِمَ. كُلُّ المُسلِمِ على المُسلِمِ حَرامٌ؛ دَمُه، ومالُه، وعِرضُه". أخرجه البخاري برقم (6064)، ومسلم برقم (2564).

(2) عن النعمان بن بشير ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الحَلالُ بَيِّنٌ، والحَرامُ بَيِّنٌ، وبينَهما مُشَبَّهاتٌ لا يَعلَمُها كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فمَنِ اتَّقى المُشَبَّهاتِ استَبرَأَ لدينِه وعِرضِه، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ كَراعٍ يَرعى حَولَ الحِمى، يوشِكُ أن يواقِعَه، ألا وإنَّ لكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا إنَّ حِمى اللهِ في أرضِه مَحارِمُه، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضغةً إذا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وإذا فسَدَت فسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، ألا وهي القَلبُ". أخرجه البخاري برقم (52)، ومسلم برقم (1599).

والمثال في المقابل حين ادعاء الجوهر في المحبة لله ولرسوله ﷺ، وإهمال العمل؛ لذا طلب الله تعالى البرهان على هذه المحبة في الواقع والظاهر؛ فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، وقال أيضا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]

الوسطية بين الفردية والجماعية:

من معالم الوسطية عدم طغيان الفردية في التشريع على حساب الجماعة، ولا طغيان الجماعة على حساب الفرد، بل الوسطية هي التي تمتاح من الفردية ما لم يخدش في جدار الجماعة، وتمتاح من الجماعة ما يحافظ على حقوق الأفراد. وأي إخلال بهذا التوازن يجعل الأمر في تخبط كما وقع للفلسفات القديمة، والمذاهب الاقتصادية الحديثة؛ فالرأسمالية تخبطت في أتون الفردية، حتى وكأن شعارها: "دعه يعمل، دعه يستغل، دعه يسير"، والاشتراكية الماركسية تخبطت في برج التأميم والجماعية، حتى أجهضت أبسط

حقوق الفرد؛ لذا فإن الوسطية خيارٌ شرعيٌّ فطري؛ حيث قرر المسؤولية الفردية، وحق التملك!

"وبهذا كله، نعلم كيف أقام الإسلام بالتشريع والتربية الموازين القسط بين الفرد والمجتمع، أو بين الفردية والجماعية في حياة الإنسان.

كما نتبيّن أن نظام الإسلام لا يُعدُّ في المذاهب الفردية، كما لا يُحسب في المذاهب الجماعية؛ ذلك لأنه أخذ من كل منهما خير ما فيه، كما تنزّه عن شرّ ما فيه، فقد اعترف بالفرد والمجتمع، وقرر لكل منهما حقوقه بالعدل، وألزمه واجبات تقابلها بالمعروف. وهذه هي الوسطية، وإن شئت قلت: هو التوازن الذي اختص به هذا الإسلام"[1].

الوسطية بين العقلانية والعاطفية:

إن الجانبَ العاطفيَّ على اختلاف أطيافه؛ وجدانًا، أو انفعالًا، أو حماسًا، يمثل جانبًا مهمًّا في حياة الإنسان؛ بل هو قاعدة العطاء والإشعاع، فلا عمل بدون حماسة نحوه، وحافز قوي إليه، ولا يخفى مدى صلته بالإيمان الذي محله القلب، لكنه ينفعل هناك بالخشوع والسكينة والإرادة قال تعالى:

(1) موسوعة الأعمال الكاملة للقرضاوي: 2/ 178- 179.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]. وكذا الفرح بنصر الله، ورضاه، وبفضله قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

لكن العاطفة حين تسيطر على العقل، تشتط بعيدًا عن الحق؛ كَتَبَ أبو بَكرةَ إلى ابنِه -وكان بسِجِستانَ- بأن لا تَقضيَ بينَ اثنَينِ وأنتَ غَضبانُ؛ فإنِّي سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: "لا يَقضيَنَّ حَكَمٌ بينَ اثنَينِ وهو غَضبانُ"[1].

والعقل من مادة "عقل" أي: حبس وربط؛ ومنه حديث: "اعقلها وتوكل"[2]، وبفضل العقل الذي أودعه الله فينا نستطيع أن نحبس ونمنع كثيرًا من التصرفات الهوجاء القائمة على العجلة؛ منها:

-تمجيد الذات، والنرجسية الخرقاء، وتضخيم الأنا والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: 32].

-الإغراق في بحر الأحلام والأوهام والأماني دون أن يكون لها رصيد في الواقع؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا

---

(1) أخرجه البخاري برقم (7158)، ومسلم برقم (1717).

(2) قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ أعْقِلُها وأتوكل أو أُطْلِقُها وأتوكل قال: "اعْقِلْها وتوكل". خرجه الترمذي برقم (2517).

بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123].

-سيطرة التهويل والمبالغة في كل شيء من غير مسؤولية.

-اهتزاز بوصلة الأولويات واختلالها؛ بحيث يقدم ما محله التأخير، ويؤخر ما محله التقديم.

-العجلة -وهي من الشيطان- في قطف الثمار على الرغم من سنة التدرج في فقه الوسطية، العجب لمن يزرع اليوم ويرد الحصاد غدا؛ فالعجلة قد تكون انتحارًا؛ ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه!

-العجلة في الفتوى وفوضى الإفتاء في العالم الافتراضي من غير ساس ولا راس!

-الارتجال الزائد عن الحد دون هدوء العقل عند اتخاذ القرار.

-إهمال فقه السنن التي لا تحابي أحدًا!

-هيمنة الغوغائية والديماغوجية والتهريج والسفسطة من غير اعتبار للأصول والقواعد.

-غلبة التسطيح، وضحالة الفهم السديد.

الوسطية والتسامح والتعايش مع الآخرين:

• الحوار بين المسلمين، وغير المسلمين قاعدة مطردة!

• إظهار أن الإسلام ينظر إلى كافة البشر أنهم مكرمون بموجب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

• وأن الإسلام لا يفرض الدين بالقوة والعنف؛ فقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: 256].

• وأن الناس أنماطٌ كثُر، لا يسوغ إكراههم على أن يكونوا نمطًا واحدًا؛ بل توطّن قبول التعددية في عقلية كل مسلم؛ لذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]. ويقول أيضًا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[هود: 18-19].

• وقد أنصف رب العزة أهل الكتاب ولم يجعلهم طبقة واحدة بخصوص الأمانة والخيانة؛ فقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا

لُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75]. فقال عن أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 113-114].

• وأنصف الرهبان والقسيسين؛ فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 82-83].

• تأكيد القرآن أخوة الأنبياء بلا استثناء، وألزمنا بالإيمان بكل الأنبياء؛ فقال سبحانه: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]. وقال: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]. وقال ﷺ: "الأنبياءُ إخوةٌ لعَلَّاتٍ؛ أمَّهاتُهُم شتَّى ودينُهُم واحدٌ"[1].

---

(1) أخرجه البخاري برقم (3443)، أبو داود برقم (4324)، وأحمد برقم (9630) باختلاف يسير.

• وأمرنا الله ﷻ ألّا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن؛ فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: 46].

• وقد حرص النبي ﷺ على معاملة أهل الكتاب معاملة خاصة، والوفاء بحقوقهم، ودفع الشر عنهم، فقال ﷺ: "مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لم يَرِحْ رائِحةَ الجَنَّةِ، وإنَّ ريحَها توجَدُ مِن مَسيرةِ أربَعينَ عامًا"[1].وفي الحَديثِ: التَّحذيرُ مِن خِيانةِ العُهودِ مع غَيرِ المُسلِمينَ، ثم إنَّ الجَنَّةَ تَكونُ لِلأوْفياءِ وغَيرِ الغادِرينَ.

وصلى الله على نبينا محمد في الأولين وفي الآخرين وفي الملأ الأعلى عنده إلى يوم الدين

والحمد لله رب العالمين.



(1) أخرجه البخاري برقم (6133).

المبحث الثالث
الوسطية عند رافع لوائها في العصر الحديث

تمهيد:

ومقصودي هو الشيخ يوسف القرضاوي رحمة الله عليه؛ حيث كان ممثلًا لمدرسة الوسطية في العصر الحديث، وطفحت كتبه ومؤلفاته بالفكر الوسطي، وأفردَ في مسيرته العلمية كتُبًا عن الوسطية، أحب أن أُقيّد ما يفيد البحث وبمقدار، دون حواشي أو شروح طويلة الذيول، وقد أفدتُ هذا المبحث من كتابيّ: "نظرية المقاصد عند الإمام يوسف القرضاوي"[1]، و"الإمام يوسف القرضاوي كما عرفته وقرأته"[2].. والله من وراء القصد.

---

(1) لم يطبع لحد كتابة هذه السطور!

(2) لم يطبع لحد كتابة هذه السطور!

مسرد كتب الشيخ في فقه الوسطية:

-كلمات في الوسطية ومعالمها.

-فقه الوسطية الإسلامية والتجديد (معالم ومنارات).

-دراسة في فقه مقاصد الشريعة الإسلامية.

-الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.

-الاجتهاد بين الانضباط والانفراط.

-الفتوى بين الانضباط والتسيب.

-الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد.

-موجبات تغير الفتوى.

-الفتاوى الشاذة.

-الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم.

-الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد.

-ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق.

-ثقافتنا العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.

-الحلال والحرام.. إلخ.

مع ملحوظة أن كل كتب الشيخ نسجت بعقل يدرك فقه التوسط، وعليه؛ أجزم أنها -جميعها- تسير على المنهج

الوسطي من كتاب "الحلال والحرام" إلى كتاب: "فقه الجهاد".

متى بدأ اهتمام الشيخ بالوسطية؟

يحكي الشيخ في أكثر من كتاب على أنه اهتدى لفقه الوسطية والتزامه في وقت مبكر فيقول: "فقد كان من نعمة الله تعالى عليّ أن هداني إلى تبني فكرة الوسطية، ومنهج الوسطية من قديم، وهو منهج تلاءم مع فطرتي وعقلي، وانسجم مع فهمي للإسلام من ينابيعه الصافية، كما تواءم مع منطق العصر، وحاجات الأمة فيه، وعلاقتها بغيرها من الأمم في عصر تقارب الناس فيه حتى غدا العالم قرية واحدة. كما أنه المنهج الذي يعبر عن حقيقة الإسلام، وعن خيرية أمته ووسطيتها وشهودها الإيماني والحضاري على الناس.. وقد نذرت لهذا المنهج نفسي وعمري، وأعطيته فكري ووجداني، ودعوت إليه بلساني وقلمي: إذا حاضرت أو خطبت، وإذا فقّهت أو أفتيت، وإذا علمت أو ربيت، وفي كل آليات اتصالي بالناس على المنبر في المسجد، أو في قاعة المحاضرة، أو في

حلبة التأليف، أو على شاشات الفضائيات، أو على الأنترنيت"[1].

الوسطية ملاذ الشيخ:

لقد نظر شيخنا الجليل إلى ما يسود ساحة الفكر والعمل الإسلاميين من تيارات فاعلة ومؤثرة -بأنصبة متباينة وأقدار متفاوتة- فأنكر أربعة، وأقرّ واحدًا:

1- أنكر تيار الخرافة المغيبة للعقل، المضيعة للدنيا والدين.

2- وتيار الحرفية الجامدة الخشنة.

3- وتيار التمييع الانهزامي الخائر.

4- وتيار العنف الغالي المدمر.

وأقر الوسطية المباركة التي تنقل أمتنا -إن استمسكت بها حق الاستمساك- من الضعف إلى القوة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الاستبداد إلى الشورى، ومن الفرقة إلى الاجتماع، ومن الهزل إلى الجد، ومن الهدم

---

(1) كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها: 11.

إلى البناء، ومن التفكك إلى التعاون، ومن التخاذل إلى التناصر[1].

لماذا اختار الشيخ خط الوسطية؟

الدارس لكتب الشيخ بعمق، يهتدي أن ثمة جملة من العوامل التي أسهمت في انتعاش الوسطية في فكر الشيخ، وحيويتها في كتاباته، حتى صار شيخنا إمام الوسطية في العصر الحديث؛ وهذه بعضها[2]:

1- هو عامل يرجع لتكوينه الثقافي وشخصيته التي جبل عليها المتوازنة نظرًا لتدبره للقرآن والسنة والنظر في واقع الأمة، وهمومها، وأدوائها، وأدويتها.

2- عامل البيئة التي نشأ فيها مصر أرض الكنانة، وبلاد الأزهر الشريف.

3- عامل التجربة المكتسبة من دعوة الإخوان المسلمين، والإمام المؤسس المربي، والبهي الخولي، وسيد سابق، ومحمد الغزالي.

---

(1) عصام البشير انظر العلامة يوسف القرضاوي ريادة علمية وفكرية: 1/ 86- 87.

(2) كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها: 12.

4- عامل شخصي رجع لفطرة الشيخ التي فطر عليها، وفطرة الاعتدال والتوازن في النظر إلى الأمور.

5- معاشرته لعلماء ودعاة يؤمنون بفكرة الوسطية كمحمود شلتوت، ومحمد رشيد رضا، وعلي الخفيف، ومحمد عبد الله دراز، والسباعي، ومحمد الغزالي، وغيرهم.

6- تأثر الشيخ بمدرسة التجديد في العصر الحديث؛ وهي "مدرسة المنار" وإعجابه بمحمد رشيد رضا.

7- وحاول الجمع بين مدرستي الغزالي، وابن تيمية.

8- وحاجة الأمة إلى الوسطية الآن علاوة على أن البعد عن الوسطية يؤدي إلى الهلاك في الدين والدنيا.

9- يرجع إلى طبيعة الإسلام أصلًا؛ والوسطية -يقول الشيخ- طريق لم نبتدعه فهو يعبر عن روح الإسلام.

10- إن هذه الأمة هي الأمة الوسط بنص القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143].

11- إن الوسطية السمة الأصلية للحضارة الإسلامية على مر القرون.

12- إن الكون كله قائم على الوسطية والاعتدال.

13- إن طبيعة الإنسان قائمة على الجمع بين المادية والروحية، وبين الجماعة والفردية.

14- إن الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد بخلاف الوسط فهو محمي ومحروس بما حوله.

15- إن الوسطية هي إحدى السمات الظاهرة، والخصائص الواضحة في الإسلام.

16- إن الوسطية أطول عمرًا، وأكثر بقاء، وأشد نفعًا، من التفريط، أو الإفراط.

17- إن الوسطية هي طوق النجاة للدعوة الإسلامية؛ بل للأمة الإسلامية كلها.

18- إن الإعراض عن الوسطية هو الهلاك بعينه، والضياع في الدين والدنيا معًا، سواء كان هذا الإعراض جنوحًا إلى جانب التسيب والانفلات، أم كان الإعراض عن الوسطية جنوحًا إلى جانب الغلو، والتنطع، والتشدد.

19- إن الوسطية ضرورة تحتاج إليها الصحوة الإسلامية.

أين تتجلى الوسطية في فكر الشيخ؟

لقد قرر سماحته أن فكره يقوم على وسطية تتجلى فيما يأتي:

- وسط بين دعاة المذهبية الضيقة، ودعاة اللامذهبية المنغلقة.
- وسط بين أتباع التصوف وإن انحرف وابتدع، وأعداء التصوف وإن التزم واتبع.
- وسط بين المحكمين للعقل وإن خالف النص القاطع، والمغيبين للعقل ولو في فهم النص.
- وسط بين الذين ينكرون الإلهام مطلقا، فلا يعترفون بوجوده، ولا بأثره، والذين يبالغون في الاعتداد به، حتى جعلوه مصدرا للأحكام الشرعية.
- وسط بين دعاة التشدد ولو في الفروع والجزئيات، ودعاة التساهل ولو في الأصول والكليات.
- وسط بين المقدسين للتراث وإن بدا فيه قصور البشر، والملغين للتراث وإن تجلت فيه روائع الهداية.
- وسط بين فلسفة المثاليين الذين لا يكادون يهتمون بالواقع، وفلسفة الواقعيين الذين لا يؤمنون بالمثل العليا.
- وسط بين دعاة "الفلسفة الليبرالية" التي تعطي الفرد وتضخمه على حساب المجتمع.. ودعاة الفلسفة

"الماركسية" التي تعطي المجتمع وتضخمه على حساب الفرد.

- وسط بين دعاة الثبات ولو في الوسائل والآلات.. ودعاة التطور ولو في المبادئ والغايات.
- وسط بين دعاة التجديد والاجتهاد، وإن كان في أصول الدين وقطعياته ودعاة التقليد وخصوم الاجتهاد وإن كان في قضايا العصر التي لم تخطر على بال السابقين.
- وسط بين الذين يهملون النصوص الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة.. والذين يغفلون المقاصد الكلية باسم مراعاة النصوص.
- وسط بين دعاة الانفتاح بلا ضوابط.. ودعاة الانغلاق بلا مبرر.
- وسط بين دعاة الغلو في التكفير حتى كفروا كافة المسلمين المتدينين.. والمتساهلين فيه ولو مع صرحاء المرتدين.
- وسط بين المستغرقين في الحاضر غائبين عن المستقبل.. والمبالغين في التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرؤونه.

- وسط بين المقدسيين للأشكال التنظيمية كأنها أوثان تعبد.. والمتحللين من أي عمل منظم.
- وسط بين الغلاة في طاعة الفرد للشيخ والقائد كأنه الميت بين يدي الغاسل.. والمسرفين في تحرره كأنه ليس عضوا في جماعة.
- وسط بين الدعاة إلى العالمية دون رعاية للظروف والملابسات المحلية.. والدعاة في التشاؤم فلا يرون إلا الظلام ولا يرقبون للظلام فجرا.
- وسط بين المغالين في التحريم كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حلال.. والمبالغين في التحليل كأنه لا يوجد في الدنيا حرام[1].

ربط الجزئيات بالكليات:

وقد اعتبر سماحة الشيخ ربط الجزئيات بالكليات من سمات المدرسة الوسطية: "التي تلا تغفل النصوص الجزئية من كتاب الله تعالى، ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ، ولكنها لا تفقه هذه النصوص الجزئية بمعزل عن المقاصد الكلية، بل تفهمها في إطارها وفي ضوئها، فهي ترد الفروع إلى أصولها،

(1) انظر مستقبل الأصولية الإسلامية: 42- 44.

والجزئيات إلى كلياتها، والمتغيرات إلى ثوابتها، والمتشابهات إلى محكماتها، معتصمة بالنصوص القطعية في صبوتها ودلالتها؛ فالاستمساك بها: استمساك بالعروة الوثقى لا انفصام لها"[1].

التيسير في الفروع والتشديد في الأصول:

وكأنها قاعدة مطردة تختزل منهج العلامة القرضاوي في فتاويه الرصينة المعاصرة؛ فيقول في منهجيتها: "اخترت لنفسي أن أيسر في الفروع على حين أشدد في الأصول"[2].

المدرسة الوسطية سماتها ومرتكزاتها:

وهذه هي المدرسة المقاصدية لا تتموقع على اللفظ في الظاهر، ولا تعق النصوص وتعطل الأحكام الثابتة؛ بل هي النهج الوسط للأمة الوسط، لا إفراط ولا تفريط، لا حرفية ولا علمانية، يجتمع فيها اللفظ والمعنى، الظاهر والمقاصد، تأخذ بالجزئيات لكن في ضوء الكليات، وتؤمن أن الأصل في الشريعة التعليل والتقصيد، ما عدا بعض التعبدات، فلا عبث

---

(1) دراسة في فقه مقاصد الشريعة: 40- 41.

(2) فتاوى معاصرة: 1/ 13.

ولا عفوية في الوجود مطلقا، كيف وربنا هو القائل: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: 191]، فما خلق الله شيئا، ولا شرع شيئا، إلا لحكمة ومصلحة، وعدل وخير؛ قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

ثم بين سماحته بعض سمات هذه المدرسة وخصائصها العظيمة منها:

1- الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها لمصالح الخلق.

2- ربط نصوص الشريعة وأحكامها بعضها ببعض.

3- النظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا.

4- وصل النصوص بواقع الحياة وواقع العصر.

5- تبني خط التيسير والأخذ بالأيسر على الناس.

6- الانفتاح على العالم والحوار والتسامح.

هذا وقد أجمل سماحته بعض مرتكزات هذه المدرسة المقاصدية لوسطية في[1]:

1- البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم.

2- فهم النص في ضوء أسبابه وملابساته.

3- التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة.

---

(1) انظر دراسة في فقه مقاصد الشريعة: 153.

4- الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات.
5- التمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات.

مرتكزات داعمة لفقه الوسطية:

وقد لهج قلم سماحته بذكر أنواع الفقه الذي يضفي على مدرسته بُعدا آخر؛ ونظرا لأننا تعرضنا لها في مواضع أخرى نكتفي بسوقها ها هنا لاتصالها وتكاملها مع المدرسة الوسطية وهي:

1- فقه الموازنات.
2- فقه الأولويات.
3- فقه الاختلاف.
4- فقه المآل.
5- فقه المقاصد.
6- فقه النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية.
7- فقه الواقع.
8- فقه السنن.
9- فقه التغيير.
10- التفريق بيت الثابت والمتغير.

11- الوصل بين الفقه وبين الحديث.

تصورات خاطئة عن الوسطية:

لقد عرض سماحته لبعض التصورات الخاطئة حول مفهوم الوسطية؛ وعلى رأسها[1]:

1- دعوى عدم وجود شيء اسمه "الوسطية" إنما المدار على الدليل الشرعي؛ وذلك لعدم فهمهم المراد بالوسطية ولا نخالف في وجوب المدار على الدليل مع قيام الأدلة واتفاق العلماء على أن الوسطية من خصائص الإسلام وأمته، وهذا باعتراف معظم أهل العلم.

2- ظن بعضهم أن الوسطية هي التساهل في أمر الدين؛ وهذا تصور خاطئ؛ لأن الشريعة قائمة على التيسير في الكتاب والسنة؛ والقواعد المطردة في الباب منها: مراعاة جانب الرخص، وتقديم الأيسر على الأحوط في زماننا، والتضييق في الإيجاب والتحريم، والتيسير فيما تعم به البلوى علاوة قواعد هي:

- الضرورات تبيح المحظورات.
- ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

---

(1) فقه الوسطية الإسلامية والتجديد: 100- 138 (بتصرف).

- الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة.
- المشقة تجلب التيسير.
- إذا ضاق الأمر اتسع.
- يرتكب أخف الضررين وأهون الشرين.
- لا ضرر ولا ضرار.
- حقوق الله مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاحة.
- الفتوى تتغير بتغير الزمان، والمكان، والعرف، والحال.
- التكليف بحسب الوسع.
- الحرج مرفوع.

3- التشديد في بعض المواقف لا ينافي الوسطية؛ إذ الخروج مؤقتا عن الوسط لضرورة حاكمة كالتشديد على فوائد البنوك أنها هي الربا المحرم.

4- ومن التصورات الخاطئة توهم بعض الناس أن الوسطية تعني التنازل عن جانب السمو والترقي والرضا بجانب التنزل إلى الأدنى. ولما كان القرآن هو المصدر الأول لوسطية فإنه يدعو إلى فقه الأحسنية؛ لذا وردت عبارة: ﴿التى هى أحسن﴾ في أكثر من سورة ومقام، وأن النبي ﷺ قال: "إذا

سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن"[1].

كتاب: كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها[2]:

وهو كتابٌ للشيخ عالج فيه بعد المقدمة مفهوم الوسطية، وعجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن، وظاهرة التوازن في الكون كله، وعرج على بعض مزايا الوسطية وفوائدها، وعلى أن الوسطية أليق بالرسالة الخالدة، وأن الوسطية تعني العدل، والاستقامة، وهي دليل الخيرية، تمثل الأمان، ودليل القوة، ومركز الوحدة، ومظاهر الوسطية: في الاعتقاد، وفي العبادات والشعائر، وفي الأخلاق، وفي التشريع، والتوازن بين الفردية والجماعية، وما هي علاقة الشيخ بالوسطية وتركيزه على الوسطية من قديم، وحاجة الأمة إلى الوسطية، ومعالم الوسطية كما يراها الشيخ؛ وهي: الفهم الشمولي للإسلام، ومرجعية القرآن والسنة، وترسيخ المعاني والقيم الربانية، ووضع التكاليف في مراتبها الشرعية، والقيم الأخلاقية، والتجديد والاجتهاد من أهله وفي محله، والموازنة

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير برقم (2790).

(2) كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، للشيخ يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م.

بين الثوابت والمتغيرات، وتبني منهج التيسير في الفتوى، وتبني منهج التبشير في الدعوة، والتدرج الحكيم، والمزج بين المتقابلات، والسلام والجهاد، وفريضة تحرير الأرض الإسلامية، وحقوق الأقليات الدينية، واحترام العقل والتفكير، والقيم الإنسانية والاجتماعية، وإنصاف المرأة وتكريمها، والعناية بالأسرة وتوسيعها، وحق الشعوب في اختيار حكامها، وتقوية اقتصاد الأمة وبناؤها على فقه الشريعة، والأمة الإسلامية ووحدتها والولاء لها، والإيمان بالتعددية والتنوع، وتجنب التكفير والتفسيق، والأقليات الإسلامية في العالم، وعمارة الأرض وتحقيق التنمية وحماية البيئة، وضرورة الإصلاح والتغيير، وتجميع كل قوى الأمة وحركاتها، والدعوة إلى فقه جديد، ومنجزات أمتنا الحضارية، والانتفاع بخير ما في تراثنا على تنوعه، وختمها بسرد مختصر لمعالم الوسطية في ثلاثين عنصرًا.

كتاب: فقه الوسطية والتجديد (معالم ومنارات)[1]:

(1) فقه الوسطية والتجديد (معالم ومنارات)، للشيخ يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م.

هو كتاب جاء بعد تأسيس كلية الدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر، وإنشاء مركز القرضاوي للوسطية والتجديد؛ وقد جاء بعد المقدمة ليعالج ثمانية: أما **المقدمة** فقد بين فيها صلته بالوسطية، وتركيزه عليها من قديم، والإسلام أول، وكتاب الحلال والحرام ومنهجه الوسطي، وتأكيده على المنهج الوسطي منذ طلوع فجر الصحوة الإسلامية المعاصرة، وحديثه في عدد من كتبه عن ملامح منهج الوسطية، ورفض بعض المتدينين منجه الوسطي وعودتهم إليه وتبنيهم له.

أما **الفصل الأول: مفهوم الوسطية ودلالتها**؛ عالج فيه مفهوم الوسطية في معجم ألفاظ القرآن، ومفرداته، وكلام ابن الأثير، ومعاجم اللغة الكبرى، ومفهوم الوسطية كما يدعو إليها هو، وعجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن، وظاهرة التوازن في الكون كله، والوسطية الخصيصة البارزة لهذه الأمة، وأليق بالرسالة الخالدة، ودلالتها على معان أخرى؛ فهي تعني العدل، والخيرية، والأمان، والقوة، ومركز القوة.

والفصل الثاني: مظاهر الوسطية في الإسلام؛ عالج فيه وسطية الإسلام في الاعتقاد، وفي العبادات والشعائر، وفي الأخلاق والمثل، وفي التشريع والنظم، وفي التحليل والتحريم

وفي شؤون الأسرة، وفي السلم والحرب، والتوازن بين الفردية والجماعية، وتخبط الفلسفات القديمة وتناقضها في القضية، وموقف الأغريقية، ومذهبان في فارس القديمة وتناقض اليهودية والنصرانية في القضية وتناقض المذاهب المعاصرة وصراعها حول القضية، وموقف الإسلام الفريد بين الطرفين.

والفصل الثالث: منزلة الوسطية في الإسلام؛ تناول فيها القرآن يشيد بالوسطية ويهدي إليها، والسنة تؤكد الدعوة إليها وتثبتها، ومظاهر الوسطية في السنة، ورفض مظاهر الرهبانية وغلوها، وشرعية اللهو والضحك والمزاح ولا سيما في الأعراس ونحوها، والحث على التجمل وإظهار آثار النعمة، والتوسط بين حق الرب وحظ النفس وحقوق الخلق، والسنة تدعو إلى القصد في كل شيء، بين الغلو والجفاء، والتيسير مراعاة للطاقة الإنسانية، ساعة وساعة، قيدها وتوكل، والرسول هو المثل الأعلى المجسد للحياة الوسطية المتوازنة، والصحابة وتابعوهم بإحسان يدعون إلى الوسطية، وعلماء الأمة يشيدون بالوسطية، وأبو محمد ابن قتيبة، ومحمد بن جرير الطبري، والفخر الرازي، وأبو عبد الله القرطبي، واهتمام الفقهاء المقاصديين بالوسطية، وكلام اب تيمية في مجموع الفتاوى، وكلام الهروي وشرح ابن القيم،

وكلام الشاطبي في الموافقات، وكلام أبي حامد الغزالي في الإحياء، وكلام ابن الجوزي.

والفصل الرابع: تصورات خاطئة حول مفهوم الوسطية؛ تناول فيه التصور الخاطئ الأول ورده، والرد على دعوى أنه لا يوجد شيء اسمه الوسطية إنما هناك الدليل الشرعي، وتعريجه على قيام الأدلة واتفاق العلماء على أن الوسطية من خصائص الإسلام وأمته، مستعرضًا كلام ابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي، وكذا كلمات المحدثين والمعاصرين كمحمد عبده، ورشدي رضا، ومحمود شلتوت، ومحمد الخضر حسين، وابن باديس، وحسن البنا، وعلال الفاسي، وابن عاشور، ومحمد الحسن الحجوي الثعالبي، ومصطفى السباعي، ومصطفا الزرقا، وعلي الطنطاوي، ومحمد الغزالي، وندوة العلماء بالهند. والتصور الخاطئ الثاني والرد عليه؛ معرجًا على أنه ليس معنى الوسطية التساهل في الدين، وأن منهج التيسير هو المعتمد في مراعاة الرخص، وتقديم الأيسر على الأحوط، والتضييق في الإيجاب والتحريم، والتيسير فيما تعم به البلوى، ومراعاة قواعد الشرع الميسرة. والتصور الثالث الخاطئ ورده، في أن التشديد في بعض المواقف لا ينافي الوسطية، والخروج مؤقتا عن الوسط

لضرورة حاكمة، والخروج عن سنن الوسطية مقدور بقدره، والتصور الخاطئ الرابع الرضا بالدون وبالحد الأدنى.

الفصل الخامس: وسائل توجيه الأمة إلى الوسطية (الدعوة والتربية والإفتاء): تناول فيه الوسطية في ميدان الدعوة والإرشاد، وبين العقل والنقل، وبين المثالية والواقعية، وبين الرجاء والخوف، وبين الفرق الإسلامية المختلفة، وبين السلفية والصوفية (تسلف الصوفية وتصوف السلفية) والموقف من الحضارة الغربية.

الوسطية في ميدان التربية والتعليم؛ تناول فيه نهج المربين، وأدب المتصوفة بين الغلو والجفاء، ومدرسة الشيخ حسن البنا نموذج في التربية الوسطية، في الموقف من التراث الإسلامي، وبين التعصب المذهبي واللّامذهبية، وفي العقيدة، وفي النظر إلى المجتمع.. والوسطية في ميدان الإفتاء والأحكام؛ حيث حمل الناس على الوسط.

الفصل السادس: حاجة الأمة والبشرية إلى الوسطية الإسلامية: عالج فيه تبني الوسطية الإسلامية المجددة، ولن يصلح بديلًا إذا قلدنا حضارتهم، والإسلام الذي نقدمه منقذًا للبشرية، وضياع الحقيقة بين طرفين متباعدين ودعوى

القراءات الجديدة للقرآن وللسنة، والميثاق الإسلامي للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

الفصل السابع: مفهوم التجديد ومظاهره: وقد تناول فيه وسطية مجددة وتجديدًا وسطيًّا، وتجديد المسرفين المتسيبين، والتجديد الحق، والتجديد هو البديل الإسلامي للحداثة الغربية، والقرآن والتجديد وتطلع المسلم إلى معالي الأمور، والتجديد في السنة، وعمر بن عبد العزيز مجدد المائة الأولى، وهل المجدد فرد أو جماعة؟

كتاب: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد[1]**:**

وبعد أن بين فيه خصائص مرحلة المراهقة، واهتمامه بترشيد الصحوة؛ وضع خطوطًا عشرة لترشيد الصحوة هي:

1- من الشكل والمظهر، إلى الحقيقة والجوهر.
2- من الكلام والجدل، إلى العطاء والعمل.
3- من العاطفية والغوغائية، إلى العقلانية والعلمية.
4- من الفروع والذيول، إلى الرؤوس والأصول.
5- من التعسير والتنفير، إلى التيسير والتبشير.

---

(1) الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، يوسف القرضاوي، الطبعة الثالثة، 2008م، دار الشروق، القاهرة، مصر.

6- من الجمود والتقليد، إلى الاجتهاد والتجديد.
7- من التعصب والانغلاق، إلى التسامح والانطلاق.
8- من الغلو والانحلال، إلى الوسطية والاعتدال.
9- من العنف والنقمة، إلى الرفق والرحمة.
10- من الاختلاف والتشاحن، إلى الائتلاف والتضامن.

وقد استوفى الحديث عن كل نقطة من هذه النقاط، أو كل خط من هذه الخطوط، وأوضح المفاهيم فيها، وأقام الحجة، وأزال كل لبس يمكن أن يطرأ بقلب الحقائق بالأباطيل؛ ليتعلم الجاهل، ويقتنع المتردد، وينهزم المكابر، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة، وبالله التوفيق.

معالم الوسطية الثلاثون وشيءٌ من فقهها[1]:

1- **العلم الراسخ والفهم الشامل والتوازن للإسلام،** بحيث تتجلى فيه خصيصتان: الأولى: الشمول والتكامل، بوصفه: عقيدة وشريعة، علمًا وعملًا، عبادة ومعاملة، ثقافة وأخلاقًا، حقًا وقوة، دعوة ودولة، دينًا ودنيا، حضارة وأمة.

(1) فقه الوسطية الإسلامية والتجديد: 242- 246.

والخصيصة الثانية: هي المزج المتوازن بين المتقابلات، أو الثنائيات، كالمزج بين الروحية والمادية، بين الربانية والإنسانية، بين الفكر والوجدان، بين المثالية والواقعية، بين الفردية والجماعية.

2-**الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة**، للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية، مع ضرورة فهم النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية.

3-**تأسيس العقيدة على الإيمان بالله، وباليوم الآخر، والتوحيد الخالص**: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الحاكمية، فيتحرر الإنسان من العبودية للإنسان، ومن كل ما سوى الله. والإيمان بأن محمدًا رسول الله، المبعوث بالرسالة العالمية الخالدة، ختم الله به النبيين.

4-**التقرب إلى الله وحده بما شرع من العبادات**، والتركيز على عبادة الله تعالى بوصفها الغاية التي خلق لها الإنسان، وهي تتجلى في الشعائر الأربع الكبرى، وما يليها من ذكر الله، والدعاء، والاستغفار، هذا بالإضافة إلى العبادات الباطنية: من صدق النية والإخلاص لله، والخشية له، وغيرها، وهي أساس التصوف الحقيقي الذي يقوم على (الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخَلق).

5-**تزكية النفس ومجاهدتها**، حتى تتحلى بمكارم الأخلاق، التي عني بها الإسلام، سواء كانت أخلاقًا فردية أم اجتماعية، ورفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشعائرية هي كل شيء، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق كل شيء.

6-**تأكيد فرضية الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، والنصيحة في الدين، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

7-**ترسيخ القيم الإنسانية والاجتماعية**، مثل: العدل والشورى والحرية والكرامة، وحقوق الإنسان.

8-**احترام العقل بجوار الوحي**، والدعوة إلى النظر والتفكر، وتكوين العقلية العلمية، ومقاومة الجمود والتقليد الأعمى للآباء أو للسادة والكبراء، أو لعامة الناس. ونفي التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح.

9-**تجديد الدين من داخله، بتجديد الفهم له**، وتجديد الإيمان به، وتجديد العمل به، وتجديد الدعوة إليه. وإحياء مبدأ الاجتهاد الذي لا تحيا الشريعة إلا به، على أن يكون الاجتهاد من أهله، وفي محله.

10-**الدعوة إلى فقه جديد، فقه في الكون، وفقه في الدين**، وهو يضم عدة ألوان من الفقه المنشود: فقه سنن

الكون، وفقه مقاصد الشرع، وفقه المآلات وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الاختلاف، والفقه الحضاري، وفقه التغيير، وفقه الواقع.

11- **إنصاف المرأة وتكريمها**، والحفاظ على فطرتها، وتوكيد ما جاء به الإسلام من إعطاء المرأة حقوقها ومكانتها وكرامتها، وتحريرها من رواسب عصور التخلف والتراجع الإسلامي، ومن غوائل الغزو الحضاري الغربي الذي أخرج المرأة من فطرتها، ولم يراع أنوثتها.

12- **العناية بالأسرة نواة لمجتمع**، والدعامة الأولى لقيام المجتمع الصالح، ورعاية حقوق كل من الزوجين على صاحبه، وعدم اللجوء إلى الطلاق إلا إذا تعذر الوفاق، وشرعية تعدد الزوجات بقيوده وشروطه، دون توسع ولا تحريم. وتوسيع نطاق الأسرة حتى تشمل العصبة والأرحام.

13- **تكوين المجتمع الصالح المتكافل**، المجتمع الذي يقوم على الإخاء والتكافل والتراحم بين أبنائه، يحمل غنيه هم فقيره، ويأخذ قويُّه بيد ضعيفه، ويشد بعضه أزر بعض.

14- **الإيمان بوجود الأمة الإسلامية ورسالتها والولاء لها**، وخلودها، والإيمان بفرضية وحدتها، وبالأخوة الدينية

بين أبنائها، على اختلاف مدارسها ومذاهبها، واعتبار الفرق المختلفة كلها من الأمة الواحدة، ما دامت تصلي إلى القبلة، وتؤمن بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية المشرفة.

15- **إقامة الدولة العادلة حاملة الدعوة**، التي تقود الأمة إلى الحق والخير، وتقيم عدل الله في الأرض، وتحتكم إلى ما أنزل الله من الكتاب والميزان، وتحترم حق الشعوب في اختيار حكامها، دون تزييف لإرادتها، أو فرض حاكم عليها يقودها رغم أنوفها، ولها -بل عليها- أن تسائله وتحاسبه، وتعزله إذا تمادى في غية بالطرق السلمية.

16- **تجنب التفسيق والتكفير ما وجد إلى التجنب سبيل**، ولا سيما ما كان سببه التأويل، وتحسين الظن بكل من شهد الشهادتين، وصلى إلى القبلة، ولم يصدر منه ما يخالفها بيقين، والأصل حمل حال المسلم على الصلاح ما أمكن ذلك.

17- **تقوية اقتصاد الأمة**، تقوية تقوم على العلم والخبرة، وعلى الإيمان والأخلاق، والعمل على تكاملها فيما بينها، وبناء هذا الاقتصاد على فقه الشريعة ومقاصدها، والسعي العملي لتأسيس اقتصاد إسلامي متميز عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الشيوعي.

18- **الإيمان بضرورة التعددية والتعارف والتسامح بين الشعوب**، وبأن البشرية أسرة واحدة، وضرورة التعايش بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، وتفاعل بعضها مع بعض، واقتباس بعضها من بعض، دون انكماش ولا استعلاء.

19- **إنشاء حضارة العلم والإيمان**، حضارة ربانية، إنسانية، أخلاقية، عالمية، تجمع بين العلم والإيمان، وتمزج بين الروح والمادة، وتوازن بين العقل والقلب، وتصل الأرض بالسماء، وتقيم التوازن والقسط بين الفرد والمجتمع، وتعلي قوة الحق على حق القوة.

20- **الرقي بالفنون وتوظيفها في خدمة رسالة الأمة**: فروح الفن هو الشعور بالجمال، والتعبير عنه بطريقة جميلة. والإسلام يحيي هذا الشعور في نفس المسلم، ويعلمه النظر إلى الجمال في الكون والإنسان، باعتباره من صنع الله الذي أتقن كل شيء. ويرحب الإسلام بالفن الراقي المسموع والمرئي والمصنوع. ويوظفه في خدمة الحق والخير، وينأى به أن يكون أداة لإثارة الغرائز والشهوات الدنيا.

21- **عمارة الأرض وتحقيق التنمية ورعاية البيئة**، والتعاون على كل ما ييسر المعيشة للناس، وكل ما يشيع الجمال في الحياة، واعتبار ذلك عبادة وجهادًا في سبيل الله.

22- **السلام مع المسالمين، والجهاد مع المعتدين،** وتوعية الأمة بأن الجهاد مفروض عليها فرض عين، لتحرير أرضها من كل سلطان أجنبي مسلط عليها. والعمل على تجميع كل القوى والجماعات والحركات العاملة لنصرة الإسلام، وبعث أمته، في صف واحد، ووجهة واحدة.

23- **العناية بالأقليات الإسلامية في العالم،** باعتبارها جزءًا من الأمة المسلمة، وعلى الأمة أن تعينهم على أن يعيشوا إسلامهم في مجتمعاتهم، عناصر حية فاعلة، وأن يكون لهم فقههم الخاص، وأن يكون شعارها: استقامة على الدين بلا انغلاق، واندماج في المجتمع بلا ذوبان.

24- **العناية بالأقليات الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية،** ومعاملتهم بما أوجبه لهم الإسلام من تركهم وما يدينون، والتأكيد على أنهم من (أهل دار الإسلام) ومقتضى هذا: أنهم بلغة عصرنا (مواطنون) لهم ما لنا وعليهم ما علينا، إلا ما اقتضاه التميز الديني.

25- **تبني منهج التيسير في الفتوى،** والتخفيف في الفقه والفتوى، وإن كان ولابد من التشديد، فليكن في الأصول لا في الفروع. والتيسير المطلوب هنا: لا يعني تبرير الواقع، أو مجاراة الغرب، أو إرضاء الحكام.

26- **وكذلك تبني منهج التبشير في الدعوة**، ودعوة المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، ودعوة المخالفين عن طريق الحوار بالتي هي أحسن، مع ضرورة رعاية روح العصر، وأسلوب العصر.

27- **رعاية سنة التدرج وسائر سنن الله**، التدرج الحكيم في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير، وعدم استعجال الشيء قبل أوانه، والثمرة قبل نضجها. مع وجوب رعاية سنن الله في الكون والمجتمع، فمن راعى السنن راعته، ومن ضيعها ضيعته.

28- **الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر**، مع ضرورة مراعاة الثبات في الأهداف والغايات، وفي الأصول والكليات، والمرونة والتطور في الوسائل والآليات، وفي الفروع والجزئيات. ومن الخطر تغيير الثوابت، أو تثبيت المتغيرات.

29- **وضع التكاليف في مراتبها الشرعية**، بفهمها فهمًا متوازنًا، وإنزال كل تكليف منزلته وفق ما جاءت به محكمات النصوص والمقاصد، فلا يتقدم ما حقه التأخر، ولا يتأخر ما حقه التقدم، وهو ما أطلقنا عليه اسم (فقه الأولويات).

30- **ضرورة الإصلاح الشامل**، والتغيير الجذري، إصلاح لا يقف عند السطوح، ولا يغوص في الأعماق، ولا يكون الإصلاح حقيقيًا إلى إذا تم بإرادتنا وبأيدينا، لا أن يفرض علينا، ومدخل كل إصلاح هو إصلاح الأنظمة السياسية المستبدة، وأساس كل تغيير هو تغيير الإنسان من داخله.

الانتفاع بتراثنا الغني بما فيه من علوم وفنون وآداب، مع العلم بأن هذا التراث كله غير معصوم، فهو قابل للنقد والمراجعة والمناقشة والترجيح أو التضعيف. ولكن الأمة في مجموعها لا تجتمع على ضلالة. كما يجب العمل على إحياء هذا التراث وخدمته بأساليب العصر وآلياته، وانتقاء الملائم منه لتعميمه ونشره على جماهير الأمة، وإبقاء الأشياء الأخرى لدراسة المتخصصين.

وصلى الله على نبينا محمد في الأولين، وفي الآخرين، وفي الملأ الأعلى عنده إلى يوم الدين

والحمد لله رب العالمين.



الخاتمة

وصلتُ إلى محطّة الخاتمة التي أسأل الله حسنها وزيادة، أبدي فيها بعض الملاحظات والنتائج وفق الآتي:

• الوسطية ليست مذهبًا فقهيًا، أو فرقة كلامية، أو حزبًا سياسيًا، بل هي منهاج حياة.

• لا ينفك مصطلحُ "الوسطية" عن المعنى اللغوي: فهي: الاعتدال بين الإفراط والتفريط فهمًا، وتصورًا، وحُكمًا، وسلوكًا، وثقافة، ومنهاجًا في الحياة!

• الوسطية: هي الميزان الحاكم دون طغيان بالإفراط، أو إخسار بالتفريط!

• الوسطيةُ هي الهديُ القاصد في الخروج من الأزمات.

• تمتزج الوسطية مع الربانية في المصدر والوجهة، والشمول والتوازن، والواقعية، والإنسانية، والاستقامة.

• الوسطية طوق النجاة لأمتنا، ومنهجٌ سالك، وهي ديدنُ الرسالة الخاتمة!

• وأن الرسول ﷺ هو المثل الأعلى للوسطية في سننه وسيرته العطرة وشمائله.

• لم يخرج جيل الصحابة والتابعين عن حقيقة الوسطية.

• الوسطية دليلُ القوّة، ومركز الوحدة.

• من الاختلالات الدالة على غياب الوسطية: استحواذ العقل على النص الصحيح الصريح وعدم التصالح معه، واستحواذ التشرذم والاختلاف على التآزر والائتلاف، واستحواذ الغلو في التحريم، وتوسيع دائرته في الأحكام، واستحواذ حُسن النية دون تمحيص في الأعمال، خصوصًا الأعمال الطائشة، والتصرفات الرعناء وغير المسؤولة، فالقصد الحسن لا يبرر الحرام! واستحواذ العنف في أمتنا بسبب التضييق على الفكر الوسطي المعتدل؛ وهو ما أسفر عن خلل كبير منه:

✓ **خللٌ في فقه الجهاد**، وتصويب السهام على المسلمين من أهل القبلة أحيانًا.

✓ **خللٌ في فقه تغيير المنكر بالقوة**؛ وقد نفّروا من الدين عوض أن يبشّروا وييسروا!

✓ **خللٌ في فقه الخروج على الحاكم**؛ وقد أوردوا الناس موارد الفتن!

✓ **خللٌ في فقه التكفير**؛ وقد كفروا العلماء، والأقارب، والأمة! بل قالوا: من لم يكفّر الكافر؛ فهو كافر! ومن رضي بالواقع فهو كافر!

• لا وسطية في مورد النص، وأنها مع جلب المصالح وتكثيرها، وفي دفع المفاسد أو تقليلها، وأنها تجري وفاقًا للشرع، لأن الشريعة جارية على التوسط، وسهولة التكليف، والتخفيف، ثم إن المقاصد أبرز سمات المدرسة الوسطية.

• والموازنة بين الثابت والمتغير، وإحياء قيم الاجتهاد، والربط بين الجزئيات والكليات، وأن الأصل في الفتوى التيسير وفي الدعوة التبشير، ورعاية المقاصد ومصالح الناس، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الظاهرية والمؤولة، وبين المظهر والجوهر، وبين الفردية والجماعية، بين العقلانية والعاطفية، والتسامح والتعايش مع الآخرين.

• الوسطية عند الشيخ يوسف القرضاوي رافع لوائها في العصر الحديث؛ وهي ملاذه في اجتهاده، وفتاويه، واختياراته في الحياة؛ بربطه الجزئيات بالكليات، واعتماده التيسير في الفروع، والتشديد في الأصول، وسمات مدرسته، ومرتكزات الوسطية، والخطوط العشرة في ترشيد الصحة الإسلامية من

المراهقة إلى الرشد، مع تقييده -رحمه الله- معالم الوسطية الثلاثين، والله من وراء القصد.

وصلى الله على نبينا محمد في الأولين، وفي الآخرين، وفي الملأ الأعلى عنده إلى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين.



البيان الختامي للمؤتمر الدولي الثالث عشر للأكاديمية العالمية لعلماء الوسطية

تحت شعار: "الوسطية بين الثوابت الشرعية والتحديات المعاصرة"

المنعقد (عن بُعد) في الفترة:

15 - 17 ذو القعدة 1447هـ | 2 - 4 مايو 2026م

الحمد لله الذي جعل الأمة أمة وسطًا، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والاعتدال، الذي بعثه الله رحمة بالعالمين، وعلى آله وصحبه الذين جسّدوا الوسطية في أبهى صورها وساروا على نهج الهدى إلى يوم الدين.

بمشاركة كوكبةٍ من علماء الأمة وباحثيها من خمسة وعشرين دولة، استطاعت الأكاديمية العالمية لعلماء الوسطية أن تكسر حواجز المسافات، لتجعل من صفحتها الرقمية "محرابًا للنور" ومنارةً تبثُّ فكر الاعتدال في كل بيت.

لقد كان هذا المؤتمر، في أول تجربة انعقاد كاملة (عن بُعد)، تجسيداً لرؤية الأكاديمية عبر التأكيد على ما يلي:

1ـ في جعل "الوسطية" هي الجسر الذي تعبر عليه الأمة نحو الاستقرار، وهي المؤسسة التي تعتز بانتمائها الأصيل

لجمهور الأمة، وتقوم في عقيدتها على مذهب أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية وفضلاء أهل الحديث، وتعتمد في تفقهها على المذاهب الفقهية الأربعة المتبوعة.

2ـ إن الوسطية في رؤية المشاركين هي هوية جامعة تجمع بين ثوابت الوحي ومقاصد الشريعة وفهم الواقع، وهي صمام الأمان في زمن المتغيرات المتسارعة، واللغة العالمية التي توحد الأوطان وتخاطب الفطرة الإنسانية، متجاوزةً الحدود لتستقر في القلوب كقناعة وفي الممارسة كمنهج حياة.

3ـ إن التجديد الواعي للخطاب الديني هو السبيل الوحيد لحفظ هوية الأمة وتعزيز حضورها الحضاري بعيداً عن الغلو والتفريط،

4ـ التأكيد على ضرورة الاستثمار في الفضاء الرقمي وتثمين تجربة المؤتمر "عن بُعد" لتحويل منصات الأكاديمية إلى فضاء مفتوح ينشر قيم الاعتدال في الفترة الفاصلة بين مؤتمرين.

5ـ في ظل ما تشهده الساحة الدولية من اضطرابات، يقف المؤتمر ببالغ الإجلال والتقدير أمام صمود أهلنا في

قطاع غزة، معربـاً عن إدانته الشديدة للاعتداءات الإسرائيلية الغاشمة والمجازر المتواصلة التي تستهدف المدنيين والمؤسسات، مؤكداً أن نصرة القضية الفلسطينية ودعم المرابطين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس هو واجب شرعي وإنساني تمليه عقيدة الأمة ومنهجها الوسطي في نصرة المظلوم وإحقاق الحق.

6ـ ضرورة ترسيخ مفهوم الوسطية بوصفه "ميزانـاً شرعيـاً" منضبطـاً، والتمييز الصارم بين الثوابت (العقيدة والقطعيات) والمتغيرات (الاجتهادات والأعراف).

7ـ الدعوة إلى التحلي بالشجاعة في تعرية الفكر المغالي المتشدد وبيان مفارقته لمنهج السلف، وكشف زيغ وضلال كل فكر يتستر بحب آل البيت، مع إبراز "التصوف الصحيح" كمسلك تربوي وسطي أصيل يوازن بين الروح والمادة.

8ـ ولتنزيل هذه التوجهات، وعلى المستوى التنظيمي أوصى المؤتمر بإنشاء وحدات بحثية متخصصة تضم علماء شرع وخبراء اجتماع وإعلام لتأصيل الوسطية وتجديد الخطاب وضبط الفتوى وإعداد "دليل الوسطية" ليضبط المفاهيم، يكون مدخلا لتربية الناشئة على تلك المفاهيم

وربط الجيل الصاعد بنماذج قدوة من العلماء، عبر تصميم أنشطة تعليمية تُدرّس الوسطية تقع على عاتق الأسرة والمدرسة

ختامـًا، يؤكد المؤتمر أن الوسطية قوة لا ضعف، وثبات لا تراجع.

ونؤكد اليوم: "الوسطية هي طريقنا.. والرحمة هي غايتنا.. والإنسان هو مقصدنا".

صدر عن اللجنة العلمية للأكاديمية العالمية لعلماء الوسطية

بتاريخ: 17 ذو القعدة 1447هـ/ الموافق لـ 4 مايو 2026م.



فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- الاعتصام، الشاطبي.

3- تاريخ بغداد، الخطيب.

4- تخريج المسند، شعيب الأرناؤوط.

5- تفسير الطبري.

6- تفسير القرطبي.

7- تلبيس إبليس، ابن الجوزي.

8- التمهيد، ابن عبد البر.

9- ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، القرضاوي.

10- الخصائص العامة للإسلام، القرضاوي.

11- دراسة في فقه مقاصد الشريعة، القرضاوي.

12- سلسلة من تراث الإمام، جمعة أمين عبد العزيز.

13- السنة، ابن أبي عاصم.

14- سنن ابن ماجه.

15- سنن أبي داود.

16- سنن البيهقي.
17- سنن الترمذي.
18- سنن الدارقطني.
19- سنن الدارمي.
20- سنن النسائي.
21- شعب الإيمان، البيهقي.
22- الصحاح، الجوهري.
23- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي.
24- الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، يوسف القرضاوي.
25- صحيح ابن حبان.
26- صحيح ابن خزيمة.
27- صحيح البخاري.
28- صحيح الترمذي، الألباني.
29- صحيح الجامع، الألباني.
30- صحيح مسلم.
31- الضعفاء الكبير، العقيلي.
32- ضعيف الجامع، الألباني.

33- الطبقات الكبرى، ابن سعد.
34- العلامة يوسف القرضاوي ريادة علمية وفكرية.
35- غريب الحديث، أبو عبيدة.
36- فتاوى معاصرة، القرضاوي.
37- فتح الباري، ابن حجر.
38- فقه الوسطية الإسلامية والتجديد، القرضاوي.
39- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي.
40- قواعد الفهم والتفاهم، مصطفى ابن حمزة.
41- مجمع الزوائد، الهيثمي.
42- مجموع الفتاوى، ابن تيمية.
43- المجموع في شرح المهذب، النووي.
44- مدارك السالكين، ابن القيم.
45- المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي.
46- المستدرك، الحاكم.
47- مستقبل الأصولية الإسلامية، القرضاوي.
48- مسند أبي يعلى.
49- مسند الإمام أحمد.
50- مسند الطيالسي.
51- المصنف، ابن أبي شيبة.

52- المعجم الأوسط، الطبراني.
53- معرفة الصحابة، أبو نعيم.
54- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية.
55- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب.
56- الموافقات، الشاطبي.
57- موسوعة الأعمال الكاملة، القرضاوي.
58- الموطأ، الإمام مالك.



المحتويات

من مشكاة القرآن 6
من مشكاة السنة 7
من أقوال العلماء والحكماء 8
مُقَدِّمَة 9

المبحث الأول

حقيقة الوسطية والاختلالات الناتجة عن غيابها 15
تمهيد 15
الوسطية في اللغة 15
الوسطية في الاصطلاح 17
الوسطية هي الميزان الحاكم 18
المنهج الوسطي هو الهدي القاصد 20
الوسطية والربانية 21
الرسول ﷺ المثل الأعلى للوسطية 21
الصحابة وتابعوهم على منهج الوسط 24
الوسطية والاعتدال 26
الوسطية والقسط 27
الوسطية وأوسط ما تطعمون 27

الوسطية وأخذ المصدق الوسط 28
الوسطية وعدم تعدي حدود الله 29
الوسطية والشمول 29
الوسطية والواقعية 30
الوسطية والإنسانية 31
الوسطية كالوادي بين جبلين 31
الوسطية طوق النجاة للأمة الإسلامية 32
الوسيطة منهجٌ سالكٌ 33
الوسطية والتوازن الكوني 33
الوسطية ديدنُ الرسالة الخاتمة 34
أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل الأخرى 34
الوسطية والاستقامة صنوان 35
الوسطية بين البخل والإسراف 37
الوسطية بين الإسراف والتقتير 37
الوسطية بين الجهر والمخافتة 37
الوسطية في المشي والصوت 38
الوسطية دليلُ القوة ومركز الوحدة 38
الاختلالات الدالة على غياب الوسطية 39

المبحث الثاني

الوسطية: معالم وضوابط ومحاذير 51

تمهيد 51
لا وسطية في مورد النص 51
الوسطية مع جلب المصالح وتكثيرها 51
الوسطية في دفع المفاسد أو تقليلها 52
الوسطية تجري وفاقًا للشرع 52
الشريعة جارية على التوسط 53
الوسطية وسهولة التكليف 54
الوسطية والتخفيف 56
المقاصد أبرز سمات المدرسة الوسطية 56
الموازنة بين الثابت والمتغير 59
الوسطية وإحياء قيم الاجتهاد 60
الربط بين الجزئيات والكليات 61
الأصل في الفتوى التيسير وفي الدعوة التبشير 62
رعاية المقاصد ومصالح الناس 64
الجمع بين الأصالة والمعاصرة 65
الوسطية بين الظاهرية والمؤولة 65
الوسطية بين المظهر والجوهر 66

الوسطية بين الفردية والجماعية 69
الوسطية بين العقلانية والعاطفية 70
التسامح والتعايش مع الآخرين 73

المبحث الثالث

الوسطية عند رافع لوائها في العصر الحديث 77
تمهيد 77
مسرد كتب الشيخ في فقه الوسطية 78
متى بدأ اهتمام الشيخ بالوسطية؟ 79
الوسطية ملاذ الشيخ: 80
لماذا اختار الشيخ خط الوسطية؟ 81
أين تتجلى الوسطية في فكر الشيخ؟ 83
ربط الجزئيات بالكليات 86
التيسير في الفروع والتشديد في الأصول 87
المدرسة الوسطية سماتها ومرتكزاتها 87
مرتكزات داعمة لفقه الوسطية 89
تصورات خاطئة عن الوسطية 90
كتاب: كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها 92
كتاب: فقه الوسطية والتجديد (معالم ومنارات) 93
كتاب: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد 98

معالم الوسطية الثلاثون وشيءٌ من فقهها 99
الخاتمة 108
البيان الختامي للمؤتمر الدولي الثالث عشر 112
فهرس المصادر والمراجع 116
المحتويات 120

